أضواء على الحركة العلمية في القدس خلال القرن التاسع الهجري- الخامس عشر الميلادي

دكتـــــورة
نـهلـة أنيـس محمد مصطفـى
أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد
بكلية الدراسات الإنسانية
جامعة الأزهر الشريف

مقدمة...

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله خاتم النبيين وإمام المرسلين وحجة الله على خلقه أجمعين، بعثه الله بالدين القويم والصراط المستقيم.

وبعد...

جاء هذا البحث لدراسة النواحي الحضارية التي كانت القدس تشارك فيها كعضو فاعل في تاريخ الحياة الحضارية، وخاصةً العلمية منها في فترات من مراحل التاريخ الإسلامي، وآثرت اختيار البحث عن الحركة العلمية في مدينة القدس خلال القرن التاسع الهجري ــ الخامس عشر الميلادي ــ وذلك لما يمثله ذلك القرن من أهمية في الحياة الحضارية.

وبالرغم من الضعف الذي اعترى الدولة المملوكية في ذلك الوقت، إلا أن الحركة العلمية في مصر والشام، وهما الركيزتان الأساسيتان في الدولة المملوكة آنذاك كانت على درجة عالية من التقدم والاهتمام سواء من الحكام المماليك، أو من طالبي العلم في معاقل العلم من المدن الإسلامية في حلب ودمشق والقدس وعسقلان والقاهرة والإسكندرية وإقليم الحجاز بمدنه المدينة المنورة ومكة المكرمة، فلم يكن هناك مدينة إلا وبها من العلماء من ملئت ترجماتهم كتب التراجم والطبقات، فكل فن وعلم كان له أهله من العلماء الذي يعنون به ويقومون على رعايته.

وقد كان للقدس وللمسجد الأقصى دور بارز في نهوض الحركة العلمية آنذاك في القرن التاسع الهجري، هذا فضلاً عن اهتمام الحكام من

السلاطين المماليك بمدينة القدس بصفة خاصة، وذلك لأهميتها الدينية أولاً، وكنيابة هامة من نيابات الدولة المملوكية ثانيا.

وسوف نحاول من خلال صفحات هذا البحث التعرف على أهمية الحركة العلمية في القدس خلال القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي، والوقوف عليها من خلال اهتمام السلاطين بالعلم، وإيضاح دور المسجد الأقصى في تلك الحركة، وأيضًا المؤسسات العلمية العامة والخاصة التي أبرزت دور القدس الحضاري، مع إبراز دور علماء القدس في هذه الحركة، وتسليط الضوء على أهمهم، وابرز من كان من علماء ذلك العصر والذين لم يذكروا في الدراسات السابقة ولهم باع في العديد من الفنون والآداب والعلوم التي حفلت بها القدس في تلك الفترة.

وفي بداية البحث فأنني لا أنكر فضل من سبقوني بالحديث عن القدس عامةً، وفي عصر سلاطين المماليك خاصةً، فهناك العديد من الدراسات الحديثة التي تحدث أصحابها من خلالها عن الحياة العلمية في مدينة القدس ولا ننكر فضل هؤلاء ومنهم "على السيد علي" والذي أفرد فصلاً كاملاً في أطروحته عن الحياة العلمية في العصر المملوكي بالقدس، أيضًا كتابات عارف باشا العارف ودراسات كامل العسلي وغيرهم، ممن اعتبرتهم دراسات سابقة وبحوث اهتديت من خلال معلوماتهم لبعض المعلومات في هذه الدراسة، وجاء تزييل بكتبهم في قائمة المصادر والمراجع في نهاية البحث.

ولا يخفى على الباحثين ما تعنيه القدس بالنسبة للإسلام والمسلمين بصفة عامة وللعرب بصفة خاصة، فهي المدينة العربية الإسلامية التي منحها الله سبحانه وتعالى المكانة العالية فكانت من صفوة المدن تكريمًا وتقديسًا، وقد نالت القدس من هذا التقدير والتقديس في آيات الذكر الحكم

من لدن الحكيم الخبير ومن أحاديث المصطفى ﷺ الكثير من العناية، وإظهار ما لهذه المدينة الجليلة من أهمية دينية وتاريخية، ولا غرو إن قلنا وعلمية أيضًا في الفترة التي نحن بصدد تناولها هنا، وقد أولاها العلماء في أدب فضائل المدن عناية فائقة فلم يخلو مصنف منها، إلا وبه إشارة وذكر لمدينة القدس، وقد نظر الإسلام إلى بيوت العبادة التي شيدها الأنبياء السابقون نظرة إجلال وإكبار وعدها أماكن مقدسة، وهي تحوي المسجد الأقصى، الذي كان مقدس لدى الأنبياء السابقين، فأصبح مسجدًا مقدسًا لدى المسلمين أيضًا، وقد تعززت مكانة القدس أي بيت المقدس في عقيدة المسلمين ونفوسهم بعد أن أسرى الله ﷻ برسوله الكريم ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى كما دلت الآيات الكريمة في أول سورة الإسراء.

هذا وقد ارتبط المسلمون في بداية تاريخ الإسلام تعبديًا بهذه المدينة المقدسة وذلك عندما كانوا يولونها وجوههم في الصلاة كالأنبياء السابقين كقبلة لهم. إلى أن أفاء الله سبحانه على نبيه الكريم ﷺ بتغيير القبلة إلى الكعبة المشرفة حيث جاءت في محكم التنزيل ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [1]، وكما جاء في الحديث الشريف لقوله ﷺ " فضل الصلاة في المسجد الحرام على غيره بمائة ألف صلاة، وفي مسجدي ألف صلاة، وفي مسجد بيت المقدس خمسمائة صلاة "[2] وجاء أيضًا في قوله ﷺ " لا تشد الرحال إلا إلى ثلاث مساجد: المسجد

---

[1] **سورة البقرة:** الآية ١٤٤.

[2] صحيح مسلم ج٣ – ص١٨٣. حديث رقم ٥١٠.

الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى"[١]، وقد ربط المصطفى ﷺ المسجد الأقصى بمناسك الحج والعمرة لقوله ﷺ "من أهل بعمرة من بيت المقدس كانت له كفارة لما قبلها من الذنوب"[٢].

ولم يكن الحكام المسلمين في بداية عصر الخلافة الراشدة أقل اهتمامًا ببيت المقدس، فقد رعى المسلمون الأوائل القدر الذي كانت تشكله القبلة الأولى عند رسول الله ﷺ، فقد كان المسجد الأقصى معززًا مكرمًا بعده، فكان على أبى بكر الصديق ﷺ عنه أن يكون أول أمر يصدره بعد انتهاء محنة حروب الردة هو تسيير الجيوش إلى فلسطين وفتحها، وكان على عمر بن الخطاب ﷺ وبعد معركة أجنادين أن يسارع بالخروج إلى إيلياء بيت المقدس حتى يتسلمها لقدسيتها وأهميتها الدينية والتاريخية للمسلمين[٣]، وهكذا رعى كل الخلفاء الذين جاءوا بعد عصر الخلافة الراشدة ببيت المقدس (القدس الشريف) وأهله من خلفاء بني أمية، وبني العباس. وصولاً إلى العصر المملوكي الذي نحن بصدد الحديث عنه.

أهمية الحركة العلمية في القرن التاسع الهجري.

حظي القرن التاسع الهجري بأهمية خاصة في الحراك العلمي في مصر والشام والحجاز وبما أن مدينة أو نيابة القدس آنذاك كانت أحد أهم النيابات المملوكية فقد تأثرت بالحراك العلمي البارز في ذلك القرن، وخاصةً في

---

[١] صحيح البخاري ج م. ص ٧٧.

[٢] **ابن ماجة:** السنن، جـ٢. ص ٩٩٩ رقم الحديث ٣٠٠٢. **ياقوت الحموي:** معجم البلدان جـ٥ ص١٦٧.

[٣] للإطلاع على الفتوحات الإسلامية دور الخلفاء الراشدين في فتح القدس، انظر **الطبري:** تاريخ الرسل والملوك. **البلاذري:** فتوح البلدان، **عبد الحميد الكاتب:** القدس دار الشروق، القاهرة ١٩٩٤م. **عبد الفتاح حسن أبوعلية:** القدس دراسة تاريخية حول المسجد الأقصى والقدس الشريف. ص ٥٦، دار المريخ، الرياض، ٢٠٠٠م.

العلوم الدينية، وقد تميز هذا العصر بظهور العديد من العلماء الأجلاء الذين برزت أسماؤهم كأعلام للقرن في شتى مجالات الفنون والآداب والعلوم العقلية والنقلية والتأريخ، ولم يكن وجود هؤلاء العلماء قاصرًا على حاضرة الدولة المملوكية، في القاهرة فقط، ولكن تواجدهم كان في كل حواضر ونيابات الدولة فكانوا يشدون الرحال إلى دمشق الشام وسائر النيابات الشامية كحلب الشهباء والقدس الشريف لينهلوا من علمائها، وأيضًا إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة لينعموا بالمجاورة الشريفة وتلقي العلم على علماء الحرمين الشريفين، وكانت هذه سمة الحياة العلمية والثقافية التي حفلت بها الدولة المملوكية وخاصةً في القرن التاسع الهجري.

ولم يكن هناك علم من العلوم إلا وبرز فيه عدد من العلماء الأجلاء الذين كان لهم دور محمود مازلنا إلى الآن نسير فيه على هديهم وننهل من علومهم، ونحن هنا لسنا بصدد الحديث عن تراجم رجالات ذلك القرن من العلماء ولكن يكفي أن نسوق أمثلة نؤكد بها على أهمية ذلك العصر العلمية، وأنه قد بلغ فيه العلم درجة يمكن من خلالها أن نؤكد على أهمية القرن والعصر المملوكي على وجه الدقة، وذلك لما شاب ذلك العصر _ في زماننا الآن _ من الفكرة العامة التي طُبع بها والتي كانت تصفه بالتخلف والضعف العلمي والأدبي والفكري وذلك نتيجة للحكم المملوكي[1]، ولا يمكن أن يكون ذلك الوصف مطابقًا لواقع الحال بالنسبة للحركة العلمية في العصر المملوكي الثاني على وجه الخصوص، بل يمكن القول أن هذا الرأي عارٍ من الصحة تمامًا، فإن الحراك الأدبي والعلمي والفني والثقافي في العالم الإسلامي والعربي بصفة عامة كان مُركز في مصر والشام والحجاز، وهي المراكز الرئيسة للدولة المملوكية آنذاك، وكان غيرها من

[1] **محمد زغلول سلام:** الأدب في العصر المملوكي، ص٧.

المراكز العلمية، إما قد انفصل عن العالم الإسلامي، وذلك لظروف سياسية مثل الأندلس، أو ضعفت فيه العربية لانضوائهم تحت لواء القومية الفارسية والوجود الصفوي مثل بلاد الفرس، وبعض بلاد المشرق فيما وراء دجلة[1]. فقد حملت مصر والشام ومنذ سقوط الخلافة العباسية في بغداد، على عاتقهما إثراء الحركة الفكرية والعلمية في المنطقة العربية والإسلامية والتي بلغت ذروتها في العصر المملوكي الثاني، وقد قام علماء المسلمين بدورهم على أحسن وجه وأكمل صورة.

وإذا دققنا النظر في هؤلاء العلماء الذين برز دورهم في الحياة العلمية في القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي سنجد أنه يمكن تقسيمهم إلى قسمين: قسم ولد في القرن الثامن الهجري وعاش في القرن التاسع وتوفي فيه، والقسم الآخر ولد وعاش في القرن التاسع وتوفي في القرن العاشر الهجري، وبالبحث تحقق أن هؤلاء وهؤلاء قد تركوا ميراثًا ضخمًا من العلوم المعرفية الكبيرة والتي أصبحت بدورها مراجع أساسية لعلماء القرن التاسع والعاشر الهجريين، ولنا من بعدهم وإلى أن يشاء الله ﷻ.

ونذكر على سبيل المثال لا الحصر، ابن دقماق، إبراهيم بن محمد بن أيدمر ت ٨٠٩ هـ/ ١٤٠٦م، والعلامة الموسوعة القلقشندي، أبو العباس أحمد ت ٨٢١ هـ/ ١٤١٨م، وأبو علم الاجتماع العلامة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد ٨٠٨هـ/١٤٠٥م، وواضع أصول ومنهجية التأريخ العلامة المقريزي، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي ت ٨٤٥ هـ/ ١٤٤٢م، والحافظ المحدث صاحب التصانيف العلامة ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني ت ٨٥٢ هـ/ ١٤٤٩م، والفقيه المؤرخ البدر

[1] **محمد زغلول سلام:** المرجع السابق، ص٧.

العيني، بدر الدين محمود العيني ت ٨٥٥هـ/ ١٤٦٨م، ومؤرخ النيل أبو المحاسن، جمال الدين يوسف بن تغري بردي ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٥ م، والإمام الفقيه الحنفي ابن قطلوبغا، الإمام الحافظ زين الدين أبي العدل القاسم ت ٨٧٩ هـ/ ١٤٧٤م والعلامة ابن خليل الحلبي، شمس الدين محمد بن محمود المعروف بابن أجا ت ٨٨١ هـ/ ١٤٧٧م.[١]

ومن الذين عاشوا في القرن التاسع وتوفوا في القرن العاشر الإمام العلامة الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، ت ٩١١ هـ/ ١٥٠٥م، العالم ابن طولون، شمس الدين محمد بن طولون الصالحي الدمشقي، ت ٩٥٣ هـ/ ١٥٤٦م. وصاحب كتاب الوفا، الإمام العلامة السمهودي، نور الدين علي بن أحمد ت ٩١١ هـ/ ١٥٠٥م والعالم ابن سباط حمزة، بن احمد بن عمر ت ٩٢٦هـ/١٥٢٠م، والمؤرخ ابن إياس، أبو البركات محمد بن أحمد علي إياس الحنفي ت ٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م. وهؤلاء غيض من فيض، حفل بهم القرن التاسع أردنا سوق أسمائهم هنا فقط للتدليل مع أهمية ذلك القرن، وقد أثرت أن أتتبع هؤلاء العلماء في فنون وعلوم شتى إتمامًا للفائدة المرجوة التي نؤكد بها على أن القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي لم يكن أقل نصيبًا من المعرفة والعلم عبر العصور الإسلامية السابقة والتي برزت فيها العلوم والفنون المختلفة، بل كان امتداد طبيعيًا لما حفلت به القرون الأخرى من العلوم والفنون.

دور السلاطين والأمراء والمماليك في رعاية بيت المقدس وعلمائها ومنشأتها العلمية.

---

[١] **السخاوي**: الضوء اللامع، الرجوع إلى تراجم هؤلاء العلماء في أجزاء الضوء اللامع حسب ترتيب تراجمهم.

من الأسباب التي يجب التأكيد عليها في بروز دور العلم في ذلك القرن، الهدوء النسبي الذي كانت تشكله الإدارة المملوكية، فقد شغلت دولة المماليك أرض الإسلام أو معظمها ما يقرب من ثلاثة قرون كاملة، كانت فيها سيدة المنطقة، والمتحكمة في سياستها وحضارتها، وقد أشار العلماء الذين عاشوا في ظل دولة المماليك إلى ذلك الأمر واستوعبوه فقد وصفت الدولة المملوكية في ذلك الوقت بأنها قلب دار الإسلام، بل قلب العالم المعمور[١].

وقد استظل المماليك في دولتهم بظل الإسلام، واستندوا على قوتهم في الوصول إلى سلطان الحكم، ولما كان سندهم الشرعي هو الإسلام وأنهم مسلمين، فقد حرصوا على التمسك به ظاهرًا، وقصدوا الاهتمام بالدفاع عن مقدساته، وبالحفاظ على مظاهره ورعاية أوامره ونواهيه، وجمع العلماء والفقهاء حولهم ورعايتهم، وقد اهتموا اهتمامًا بالغًا ببناء المساجد ودور الحديث والمدارس التي تدرس فيها العلوم الشرعية، وأسرفوا في تشييدها وأنفقوا عليها ببذخ وأوقفوا عليها وعلى علمائها وطلابها الأوقاف الطائلة، وقد شمل هذا السلاطين المماليك وأمرائهم على حد سواء، ومن أكثر الأمثلة صوابًا التي تضرب في هذا السياق عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون وأمرائه الذين كانوا يتنافسون في البناء والمعمار العلمي والديني إرضاءً للسلطان لأنهم أدركوا مدى حبه وعشقه للعمارة والبناء فحفلت القاهرة ودمشق والقدس في عهده بكثير من المنشآت المعمارية التي تؤكد على هذا.[٢]

---

[١] **العمري:** مسالك الأبصار، جـ١، ص ٣٧.

[٢] **سعيد عاشور:** العصر المماليكي، ص ٣٤١، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك ص ص ٢٩٣، ٢٩٤.

محمد زغلول سلام: المرجع السابق ــ ص ٢٧.

ففي القاهرة ترك لنا المماليك كثير من العمارة العلمية والدينية التي لا يتسع المجال لذكرها هنا، ولعل مسجد ومدرسة السلطان الناصر حسن دليل على اهتمامهم بالمنشآت المعمارية التي أقيمت لتدريس المذاهب الأربعة، وقد أفاض المؤرخون والرحالة في وصفها والإشارة لعظيم بنائها.[1]

وفي دمشق ترك لنا الميراث المملوكي الكثير من المنشآت الدينية والعلمية التي حملت مشعل العلم في بلاد الشام، ففي عهد السلطان الظاهر بيبرس والسلطان قلاوون شهدت المدينة حركة عمرانية كبيرة، وشيد بها عدد كبير من المساجد والمدارس، وتعد المدرسة الظاهرية الموجودة في حي باب البريد بدمشق القديمة مثالا على ذلك، وهي قبالة المدرسة العادلية الكبرى، وقد أنشئت عام ٦٧٦ هـ/ ١٢٧٧م، وكانت في الأصل دارًا للعفيفي المتوفى عام ٣٦٨هـ/٩٧٩م. ثم تولى الملك السعيد بركة بن الملك الظاهر بيبرس البندقداري بناء التربة والمدرسة بعد وفاة أبيه عام ٦٧٨ هـ/ ١٢٧٩م، ونقل جثمان أبيه إليها بعدما كان مدفونا في قلعة دمشق، ويضم المبنى بالإضافة إلى المدرسة والضريح المكتبة الظاهرية التي أنشئت فيما بعد في فترة متأخرة من العصر العثماني عام ١٢٩٦هـ

---

[1] للتعرف على القيمة المعمارية لمدرسة السلطان الناصر حسن. الرجوع إلى **المقريزي:** الخطط. م٢. جـ٤. ص١١٧.

ابن بطوطة: الرحلة ـ حـ١ ـ ص ٢٠.

ابن تغري بردي: حوادث الدهور حـ١. ص ٢١٩.

حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية. ص ١٦٦، ١٨٠.

/ ١٨٧٩م، وقد كان قسم من هذه المدرسة يقوم بتدريس وتحفيظ القرآن الكريم. والقسم الآخر لتدريس المذهب الحنفي.[١]

يُعد العصر المملوكي بحق العصر الذهبي لمدينة القدس الشريف، فقد ازدهرت المدينة المقدسة فيه ازدهارًا قل نظيره في العصور الأخرى، وزاد سكانها، كما ازدهرت فيها الحركة العلمية ازدهارًا كثيرًا وانتشرت المدارس والقباب والمصاطب التعليمية في كل مكان، وساد الرخاء المدينة بشكل عام.

وقد أعطى السلاطين المماليك للقدس أهمية كبيرة بما لمسوه من قدسية المدينة وأهميتها، وتمثل اهتمامهم بها منحها صفة النيابة المستقلة التي يعين فيها نائب للسلطان المملوكي، ولا يتبع إلا للسلطان مباشرةً، وهذا ما جعل القدس في ذلك العصر مركزًا من أهم المراكز العلمية الدينية في العالم الإسلامي، وقبله طلاب العلوم الشرعية ومقصدهم [٢]، حتى بات العصر المملوكي من أهم العصور التي تركت تراثًا معماريًا هامًا من الفنون الإسلامية في العمارة والزخرفة والبناء، وقد امتد العصر المملوكي في القدس الشريف منذ عام (٦٤٨ هـ / ٩٢٢هـ) أي حوالي ما يقرب من مائتين وسبعين عامًا، ازدهرت فيها الحركة الفكرية والعلمية.

وإذا تتبعنا اهتمام سلاطين المماليك في العصر المملوكي الأول بالقدس الشريف وبإعماره وإقامة المنشآت العلمية والدينية به فإن أول السلاطين المماليك الذين أمروا بإعمار قبة الصخرة بالقدس الشريف

---

[١] **قتيبة الشهابي:** دمشق تاريخ وصور، مؤسسة الفوري للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، جـ٣، ١٩٩٤م.

[٢] **القلقشندي:** صبح الأعشى، حـ٤ ، ص ١٠٠.

عبد الله نجيب سالم: المجد المنيف للقدس الشريف، ص ١٣٢.

السلطان الظاهر بيبرس عام (٦٥٩هـ/١٢٦١م) وكانت قد تداعت إلى الخراب والوقوع بعد العهد الصلاحي، وقد زاد أيضًا في أوقاف الخليل عليه السلام.[١] وقد زار الظاهر بيبرس القدس على فترتين الأولى عام ٦٦١هـ / ١٢٦٢م والأخرى عام ٦٦٤هـ/١٢٦٥م. ففي زيارته الأولى كشف أحوال القدس الشريف "وما يحتاج إليه المسجد من العمارة، ونظر في الأوقاف وكتب بحمايتها، ورتب رسم مصالح المسجد في كل سنة خمسة آلاف درهم وأمر ببناء خان خارج البلد، ونقل إليه من القاهرة باب القصر المعروف بباب العيد، ونادى بالقدس ألا ينزل أحد في زرع[٢]، "وفي زياراته الثانية مضى أولاً إلى الخليل ثم منها إلى القدس، ومنع أهل الذمة من الدخول إلى مقام الخليل "وكانوا قبل ذلك يدخلون ويؤخذ منهم مال على ذلك فأبطله واستمر منعهم"[٣] وكان السلطان قد أمر بتجديد قبة السلسلة "وبناء مسجدً وطاحونًا وفرنًا وبستانًا، وبنى على بئر موسى عليه السلام مسجدًا وهو عند الكثيب الأحمر قبلي أريحا ووقف عليه وقفًا"[٤].

ومن المنشآت العلمية التي أنشئت في عهد السلطان الظاهر بيبرس دار الحديث التي تقع بجوار التربة الجالقية على طريق باب السلسلة[٥]، وقفها

---

[١] **ابن دقماق:** نزهة الأنام في تاريخ الإسلام. ص ٢٧٥، تحقيق سميرة طبارة. المكتبة العربية. بيروت ١٩٩٩م.

المقريزي: السلوك، جـ١، ص ٥٢٦ ، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان

ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ص ٧، ص ١٩٤.

[٢] **المقريزي:** السلوك، حـ١، ص ٥٥٦.

[٣] **المقريزي:** المصدر السابق: جـ٢، ص٣٣.

[٤] **ابن تغري بردي:** المصدر السابق، جـ٧، ص ١٩٤.

[٥] **باب السلسلة:** وهذا الباب بابان يطلق عليهما السلسلة والسكينة وهما متجاوران، ويعتبر هذان البابان من أبواب الحرم الشريف القديمة، حيث ورد ذكرهما في المصادر التاريخية

الأمير شرف الدين عيسى بن بدر بن أبي القاسم الهكاوي[١]. عام ٦٦٦هـ / ١٢٦٧م، وكذلك المدرسة الأباصيرية والتي تقع تجاه الرباط المنصوري بجوار باب الناظر[٢]، وقد وقفها الأمير علاء الدين أيدوغدي [٣]. ٦٦٦ق/١٢٦٧م، ولما مات دفن فيها[٤].

المبكرة . فقد أشار له ابن الفقيه باسم باب داود (المقصود باب السلسلة)، وأما ابن عبد ربه فقد ذكر الأثنين: باب داود وباب السكينة،وقد أطلق عليه، على ما يبدو في الفترة المملوكية اسماً غربياً وهو باب السحرة. وعلى ما يبدو أن تاريخ البناء الحالي لهذين البابين، يعود للفترة الأيوبية وذلك اعتماداً على العناصر المعمارية والفنية لهما وبخاصة استخدام الأعمدة الرخامية الملفوفة أو المثعبنة والتي سادت في هذه الفترة . كما وجرت عليهما ترميمات مختلفة في الفترة المملوكية، **دليل المسجد الأقصى:**

http://www.palestine-info.info/arabic/alaqsa/aldaleel/abwab.htm

[١] **الأمير شرف الدين عيسى الهكاوي:** هو أبو محمد عيسى بن محمد، ويقال له الهكاوي ونقلاً عن ابن خلكان ينتهي نسبه على آل زيد بن الحسن بن علي رضي الله عنهم كان أمير بالدولة الصلاحية، وفي أول حياته اتصل بأسد الدين شيركوه، وكان له فضل في وضع صلاح الدين في الوزارة بمصر، لبس زي الأجناد وتعمم بالعمائم فكان ممن جمع بين الزيين توفى في الخروبة بالقرب من عكا ونقل ليدفن بالقدس.

ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ٢، ص٢٣٦.

[٢] **باب الناظر:** وقد عرف هذا الباب في زمن العمري باسم باب الرباط المنصوري، وفي زمن مجير الدين بباب الناظر، وفي الفترة العثمانية بباب الحبس وفي الفترة الحديثة بباب المجلس. كما وتم تجديده للمرة الثانية في الفترة المملوكية أثناء أعمال البناء التي تمت في الرواق الغربي.

دليل المسجد الأقصى: الموقع السابق.

[٣] **الأمير علاء الدين أيدغدي:** علاء الدين أيدغدي بن عبد الله الركني يلقب بالأعمى ناظر أوقاف القدس، كان دينيًا خيرًا أنشأ العمائر وله آثار جميلة بالقدس والخليل، استمر بالقدس إلى أن مات عام ٦٩٣هـ/ ١٢٩٤م.

ابن تغري بردي: المنهل الصافي، حـ٣، ص ١٦٤.

[٤] **عارف العارف:** تاريخ القدس، ص٨٨.

وكان السلطان الظاهر بيبرس يشجع العلم ويحرص على إرضاء العلماء وكانت القدس في عهده مأوى للعلماء ومنهم، الإمام المحدث زين الدين بن عبد الدايم بن نعيمة المقدسي، وقد دفن بالقدس عام ٦٦٩هـ/ ١٢٧٠م، وشيخ الحرم القدسي موسى بن غانم بن علي إبراهيم بن عساكر الأنصاري تولى مشيخة المسجد الأقصى ومات بها ٦٦٩هـ/١٢٧٠م، والأمير شرف الدين محمد بن عيسى الهكاري وهو أحد نجباء القدس وله العديد من المؤسسات العلمية التي أوقفت عليها الأوقاف.[١]

وفي عهد السلطان المنصور قلاوون ٦٧٨ـ٦٨٩هـ/١٢٧٩ـ١٢٩٠م زادت العمارة المملوكية في القدس الشريف وكان اهتمام السلطان والأمراء بإقامة المساجد والمدارس والأربطة، ففي مدة سلطنته انشأ الرباط المنصوري بمدينة القدس، (رباط قلاوون). وجعله وقفًا على الفقراء من زوار بيت المقدس، ويقع قبلي الطريق المؤدية إلى المسجد الأقصى من الغرب عند باب الناظر، وعُمر في عهده أيضًا المسجد القلندري، وبنيت فيه قبة أطلق عليها قبة القبقية (الكبكبة). [٢]

وقد ذكر القاضي مجير الدين صاحب كتاب الأنس الجليل عدة منشآت دينية وعلمية قد قامت في عهد الناصر محمد بن قلاوون وهو العهد الذي اشتهر بكثرة منشآته العلمية في دولة المماليك، فكان إنشاء المقر السيفي كرد عام ٦٩٣هـ ـ ١٢٩٣م رباط الكرد ويقع أمام المدرسة الأرغونية بباب الحديد، وأُنشئت كذلك المدرسة الدوادارية في

---

[١] **الذهبي:** العبر، حـ٣، **عارف العارف:** المفصل في تاريخ القدس ص ١٩٩.

[٢] **عارف العارف:** تاريخ القدس، ص٨٨.

مدخل باب العتم[١] وهو من أبواب الأقصى الشمالية وكان قد أوقف الأمير علم الدين أبو موسى سنجر الدوادار الصالحي النجمي الأوقاف عليها ــ عام ٦٩٥هـ/١٢٩٥م.[٢]

وقد رعى الملك المنصور قلاوون شؤون القدس، فعندما زارها أقال نائبها عماد الدين ابن أبي القاسم، وأقام مكانه نجم الدين السونجي ٦٦٢هـ/١٢٨٣م، وعين الشيخ بدر الدين محمد بن جماعة خطيبًا بالمسجد الأقصى عوضًا عن الشيخ قطب الدين عبد المنعم بن يحيى القرشي، وذلك بناءًا على نصيحة الأمير علم الدين سنجر الدارداري الذي كان شادا و مديرًا من غزة إلى الفرات.[٣]

وقد أوضح عارف العارف في مصنفاته تاريخ القدس، والمفصل في تاريخ القدس المنشآت العلمية والدينية التي أقامها أمراء السلطان الناصر محمد بن قلاوون، منها على سبيل المثال لا الحصر. المدرسة السلامية والتي تقع بباب شرف الأنبياء تجاه المعظمية، وواقفها الخواجا

---

[١] **باب العتم:** ويعرف هذا الباب أيضاً بعدة تسميات أخرى وهي باب شرف الأنبياء، وباب الدوادارية وباب فيصل. حيث أطلق عليه في زمن العمري (٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) باب شرف الأنبياء وفي زمن مجير الدين (٩٠١هـ/ ١٤٩٦م) باب الدوادارية وفي الفترة الحديثة باب فيصل وباب العتم، وقد تم تجديد بنائه في الفترة الأيوبية في سنة ٦١٠هـ/ ١٢١٣م، متزامناً مع بناء القسم الشرقي من الرواق الشمالي،

موقع دليل المسجد الأقصى: المركز الفلسطيني للإعلام. الموقع السابق.

[٢] **مجير الدين العليمي:** الأنس الجليل بتاريخ القدس الجليل، تحقيق عدنان يونس نباتة، مكتبة وندوس، عمان الأردن ١٩٩٩م.

[٣] الفصل في تاريخ القدس، ص ٢٠١.

مجد الدين أبو الفدا إسماعيل السلامي[١] عام ٧٠٠ هـ/١٣٠١م، والمدرسة الوجيهية بخط درج المولى عند باب الغوانمة[٢] وقد وقفها الشيخ وجيه الدين محمد بن عثمان بن أسعد نجا الحنبلي المتوفى سنة ٧٠١هـ/١٣٠٢م[٣] والمدرسة الموصلية، وقد وقفها بباب شرف الأنبياء الخواجا فخر الدين الموصلي، والمدرسة الجاليقية وهي خارج المسجد الأقصى على بعض مائتي متر منه عند ملتقى طريق باب السلسلة بطريق الواد، ووقفها الأمير ركن الدين بيبرس الجالق الصالحي سنة ٧٠٧هـ/١٣٠٨م[٤]

---

[١] **مجد الدين أبو الفدا إسماعيل السلامي:** إسماعيل بن محمد بن ياقوت السلامي تاجر الخاص في الرقيق كان له دراية بمعاملة الملوك وقد سعى في الصلح بين الملك الناصر محمد وأبي سعيد ملك التتار وله في بلاد الأرد مملكة التتار أملاك وكذلك بالشام توفى عام ٧٤٣هـ/١٣٣٤م.

ابن حجر: الدرر الكامنة. جـ١. ص ٢٢٢.

[٢] **باب الغوانمة:** ويعرف أيضاً باسم باب درج الغوانمة وباب الخليل، ويعود تاريخ بنائه للفترة المملوكية، حيث تم تجديده في سنة ٧٠٧هـ/ ١٣٠٧م. **دليل المسجد الأقصى:** الموقع الالكتروني السابق.

[٣] **وجيه الدين محمد بن عثمان بن أسعد بن المنجا التنوخي الحنبلي:** ولد سنة ٦٣٠ هـ/١٢٣٣م وتفقه ودرس وكان كثير المال والبر، أنشأ دار القرآن بدمشق ورباطًا بالقدس في شعبان ٧٠١هـ/١٣٠٢م

ابن حجر: المصدر السابق، م٣، جـ٤، ص ٢٥

[٤] **الأمير ركن الدين بيبرس الجالق المصالحي:** أحد أكابر الأمراء بالديار المصرية والجالق صفة للفرس، من مماليك أستاذه الصالح نجم الدين أيوب وهو من جملة الجمدارية، ثم أمره الملك لظاهر بيبرس وجعله من جملة الأمراء البحرية ولا زال يترقى حتى صار من أعلام الأمراء، وهو آخر البحرية موتًا توفي بالرملة ثم نقل إلى القدس عام ٧٠٧هـ/١٣٠٨ م.

ابن تغري بردي: المنهل الصافي، جـ٣، ص ٤٧٤.

أما المدرسة الجاولية، والتي أوقفها الأمير علم الدين سنجر الجاولي نائب غزة والقدس في تمام ٧١٥هـ/١٣٠٥م[١] وجعلها مدرسة ثم اتخذها من بعده عام ٨٠٠هـ/١٣٩٨م الأمير شاهين الدباح دارا للنيابة، وهي بناء قديم اتخذ قلعة في العصور القديمة إلى أن آل أمرها إلى مدرسة ثم دار للنيابة، وتعد المدرسة التنكزية وهي بباب السلسلة من أهم المدارس العلمية التي أنشئت في عهد السلطان الناصر محمد وقد أنشأها الأمير الكبير تنكيز الناصري نائب الشام عام ٧٢٩هـ/١٣٢٩م، وكانت مدرسة عظيمة ودارًا للحديث، وقد سكنها السلطان فرج بن برقوق لمدة، وفي عهد السلطان قايتباي اتخذت دارا للقضاء والأحكام وتنوعت مهمتها الدينية خلال العصر المملوكي في أكثر من عهد من عهود السلاطين خلال العصرين الأول والثاني.[٢]

ولم تقف العمارة التعليمية في عهد السلطان الناصر وأمرائه على بناء المدارس بل امتدت العمارة إلى بناء الخانقاوات والمساجد والأروقة والخانات وقد امتدت يد الإصلاح إلى المسجد الأقصى لإصلاح أروقته، وفتح منافذ جديدة فيه وإصلاح قبابه، هذا فضلاً عن عمارة القناطر التي تجلب الماء إلى المسجد الأقصى، وبناء الأسبلة والأحواض لتوفير المياه في هذا الصرح الديني الكبير.

---

[١] **الأمير علم الدين سنجر الجاولي:** الأمير علم الدين أبو سعيد المعروف والده بالمشد وهو من أمراء الملك الناصر محمد بن قلاوون، ولى نيابة القدس والخليل وغزة في عهد الناصر محمد، عمر بهذه المدن العمائر الدينية توفي في عام ٧٤٥ق/١٣٤٥ م.

ابن تغري بردي: المصدر السابق، جـ٦، ص ٧٤.

[٢] **ابن كثير:** البداية والنهاية، جـ١٤، ص ١٨٧.

تاريخ القدس: ص ٩١.

عبد الله نجيب سالم: المرجع السابق، ص ١٣٣.

فمن الخانقاوات، أنشأت الخانقاة الفخرية المجاورة لجامع المغاربة وهي خارج الأقصى على بعد مائتي متر من المسجد، وقفها القاضي فخر الدين أبو عبد الله محمد بن فضل الله في سنة ٧٣٢هـ/١٣٣١م[١] ومن الأروقة الرواق الممتد من باب الغوانمة إلى باب الناظر ثم منه إلى باب القطانين[٢]، وعمر كذلك سوق القطانين وكانت قبل ذلك تسمى خان تنكز وقد أنشأت منذ عام ٧٣٦هـ / ١٣٣٦م، هذا فضلاً عن عمارة الجامع داخل القلعة، وقد أمر السلطان بتجديد بناء القلعة وترميمها وتحصينها عام٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م[٣].

---

[١] **القاضي فخر الدين أبو عبد الله محمد بن فضل:** ناظر الجيوش ولد عام ٦٥٩هـ/١٢٦٠م كان نصرانيًا وأسلم ولما أسلم أعرض عن النصارى جملة، حج عشر مرات وزار القدس وأحرم من القدس إلى مكة ودخل كنيسة القيامة مرة فسمع وهو يقول "رب لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا" بنى عدة مساجد وعدة أحواض يسقى منها الماء وله مارستان بالرملة وآخر بنابلس، كان له هيئة في دولة الناصر وانتفع به خلق كثير من الأمراء والقضاة والعلماء الأصفاد والأجناد ولم يصل أحد من الأمراء والمتعممين إلى منزلته عند الناصر محمد فكان يمازحه ويطلعه على أسراره، توفي عام ٧٣٢هـ/ ١٣٣١ م.

ابن حجر: المصدر السابق، م٢، جـ٤، ص ٨٩.

[٢] **باب القطانين:** يعتبر هذا الباب من أكبر أبواب الحرم الشريف المملوكية، حيث قام بإنشائه السلطان الناصر محمد بن قلاوون بإشراف نائبه الأمير سيف الدين تنكز الناصري، في سنة ٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م، وذلك حسب النقش التذكاري الموجود في واجهته المطلة على ساحة الحرم الشريف والذي ورد فيه ما نصه :

"بسم الله الرحمن الرحيم جدد هذا الباب المبارك في أيام مولانا السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا الدين محمد بن قلاوون بالمباشرة العالية السيفية تنكز الناصري أعز الله أنصاره في شهور سنة سبع وثلاثين وسبع مائة وصلى الله على سيدنا محمد وآله". **دليل المسجد الأقصى:** الموقع السابق.

[٣] **ابن تغري بردي:** المصدر السابق، جـ٦، ص ٧٤.

عارف العارف: المرجع السابق: ص ٧٢.

على السيد علي: القدس في العصر المملوكي، ص٢٦.

ومن القنوات التي عُمرت في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون قناة السبيل، وقد ساهمت في إيصال الماء إلى المسجد الأقصى، وعُمر الحوض المسمى بحوض الكأس وهو مصنوع من الرخام ويقع في الساحة ما بين مسجد قبة الصخرة والمسجد الأقصى.(١)

ومن أهم العلماء في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون الشيخ جمال الدين محمد بن سليمان بن الحسن بن الحسين النقيب البلخي الأصل المقدس الحنفي، ولد بالقدس وصار أحد أعلام العلم فيها، وله كتاب تفسير القرآن في سبعين مجلدًا ومات بالقدس عام ٦٩٨هـ/١٢٩٠م(٢).

وفي عهد أحفاد السلطان الناصر محمد بن قلاوون، كان اهتمام السلاطين بأمر القدس وعنايتهم بالمنشآت الدينية والعلمية بها لا يقل عن سابقيهم ففي عهد السلطان الأشرف شعبان بن حسين، عُمرت المغارة التي عند باب الأسباط(٣)، وجُددت الأبواب الخشبية التي على أبواب المسجد الأقصى، هذا فضلاً عن تجديده للقناطر الغربية في صحن مسجد قبة الصخرة المقابلة لباب الناظر وأنشأ بعض الأروقة في المسجد الأقصى من الجهة الشمالية(٤).

---

(١) **عارف العارف:** المرجع السابق، ص٧٢.

(٢) **ابن تغري بردي:** النجوم الزاهرة، وفيات عام ٩٩٨هـ/ جـ٨.

عارف العارف: الفضل في تاريخ القدس، ص ٢٠٥.

(٣) **باب الأسباط:** وهو من أبواب الحرم الشريف القديمة فقد أشير إليه في المصادر التاريخية المبكرة التي ذكرناها سابقاً. وأما الباب الحالي الذي يقوم اليوم فقد أعيد بناؤه في الفترة الأيوبية في سنة ٦١٠هـ/ ١٢١٣م، أثناء بناء الرواق الشمالي. كما تم تجديده في الفترة المملوكية، في سنة ٧٦٩هـ/ ١٣٦٧م.

دليل المسجد الأقصى: الموقع السابق.

(٤) **السيد علي السيد:** المرجع السابق، ص ٣٠.

فنرى من خلال هذا العرض اهتمام سلاطين العصر المملوكي الأول (دولة المماليك البحرية) بأمر القدس وعنايتهم بالمنشآت الدينية والتعليمية بها، وهذا يعطي انطباعًا طيبًا عن نوايا هؤلاء السلاطين الذين لم يروا واجبهم يقف فقط على حماية الدولة والبلاد وحدودها من الأخطار الخارجية، بل على حماية الإسلام والعناية بالأماكن المقدسة بالسلطنة ومن أهمها مدينة القدس، وإحياء شعائر الإسلام بها وتوفير الخدمات لسكانها بإنشاء المدارس والأربطة والمساجد والأسبلة وغيرها من المنشآت، ولا يخفى أن في ذلك قربى إلى الله عز وجل أراد هؤلاء السلاطين والأمراء المماليك التقرب بها إليه سبحانه، ثم من الأهلين في أقطارهم بإنشاء مثل هذه المنشآت لخدماتهم، ونحن هنا نرى بالقياس على عهد الدولة الأيوبية والتي كان لها قصب السبق في الاهتمام بالقدس الشريف بعد تحريره من أيدي الصليبيين والعناية به، نجد أن الوضع على عهد الدولة الأيوبية كان يختلف فقد كان الأمر سجالا بين الأيوبيين والأمراء الصليبيين في أمر القدس، وقد عادت القدس إلى ربقة الصليبيين على عهد السلطان الكامل الأيوبي عام ٦٢٥-٦٢٦هـ/١٢٢٨-١٢٢٩م[١]، ولم يكن للمسلمين سيطرة عليها، فالحال مع الدولة المملوكية تختلف تمامًا ومنذ أن عادت القدس على عهد السلطان الصالح نجم الدين أيوب والخوارزمية[٢] عام ٦٤٢هـ/١٢٤٥م، والأحوال السياسية والإدارية مستقرة في الدولة المملوكية مما انسحب على استقرار الأحوال الدينية والتعليمية، مع رعاية

---

[١] **ابن واصل:** مفرج الكروب، حـ٤، ص ٢٤١.

ابن كثير: المرجع السابق، جـ٧، ص١٤١.

حامد غنيم أبو سعيد: الجبهة الإسلامية في عصر الحروب الصليبية، الباب الثالث، ص ١٤٨.

[٢] **أبو الفدا:** المختصر، حـ٣، ص١٤١.

السلاطين في دولتي المماليك، وحبهم للإنشاء والتعمير في كافة أصقاع الدولة وحواضرها ومنها القدس الشريف.

وإذا كان هذا هو حال الدولة المملوكية البحرية الأولى ٦٤٨ــ ٧٨٤هـ/١٢٥١ــ١٣٨٢م، وسلاطينها في العناية بأمر القدس فإن سلاطين الدولة المملوكية البرجية الثانية ٧٨٤ــ٩٢٢هـ/١٣٨٢ــ١٥١٧م، لم يكونوا أقل اهتمامًا من سابقيهم[١]، فكان للعديد من سلاطين البرجية جل اهتمام بأمر القدس الشريف والمسجد الأقصى فعندما أعيد السلطان برقوق للسلطة ٧٩٢هـ/١٣٩٠م، عمر في القدس دكة المؤذنين بمسجد قبة الصخرة الشريفة "وقد باشر ذلك نائب القدس وناظر الحرمين الناصري محمد بن السيفي بهادر الظاهري"عام ٧٨٩هـ/١٣٨٧م"، وعمر البركة التي بظاهر القدس الشريف من جهة الغرب والمعروفة ببركة السلطان[٢]، ومن محاسن

---

[١] لابد لنا أن ننوه خلال هذه الدراسة إلى وجود دراسة سابقة، تحدثت عن الحياة العلمية في القدس في القرن الثامن الهجري، وهي رسالة الدكتوراه المقدمة من الباحث: علي منصور نصر شهاب، لقسم الدراسات العامة، جامعة البحرين، وقد قام بنشرها في حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، والتي يصدرها مجلس النشر العلمي جامعة الكويت، وتتناول هذه الدراسة النشاط العلمي الكبير الذي بلغته مدينة القدس في القرن الثامن الهجري، وهو القرن الذي شهد ازدهارا في معظم مجالات الحياة العلمية، وأرّخ لـــه ابن حجر في كتابه « الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ». وقد ذكر الباحث أن ابن حجر أورد تراجم لعلماء مدينة القدس، وتناول نشاطها العلمي، ومؤسساتها التعليمية؛ من المدارس، ودور القرآن، ودور الحديث والمساجد، والأربطة، والزوايا، والخانقاوات. وتعرض لنظم الدراسة في هذه المؤسسات، فذكر أنها تقوم على أساس تعيين المدرسين والمعيدين ورواتبهم ورواتب الطلاب، كما تعرض لمواد الدراسة، فأوضح أنها كثيرة، منها: علوم القرآن الكريم والتفسير والحديث والفقه والتصوف، وعلوم اللغة العربية وآدابها، إضافة إلى بعض المعلومات العقلية والتطبيقية، **علي منصور**: حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية ٢٢، الرسالة ١٦٩.

[٢] **العليمي**: المصدر السابق، جـــ٢، ص ٢٤١/٩٤.

السلطان الأشرف برسباي ٨٢٥ــ٨٤٢هـ/١٤٢٢ــ١٤٣٨م تقليده إمارة القدس للأمير أركماس الجلباني، وقد وصفه مجير الدين العلمي بأنه "كان حاكمًا معتبرًا عمر لأركان الأوقاف ونماها وصرف المعاليم واشترى للوقف مما أرصده من المال جهات من القرى والمسقفات وورد مرسوم الأشرف بصرف معاليم المستحقين منها ورصد ما بقي لصالح الصخرة الشريفة"، ومن حسناته أيضًا إهداءه للصخرة الشريفة المصحف الكبير العظيم الذي أُهدى له بدمشق[١]، وهذا ما سوف نعرض له في أثناء الحديث عن المسجد الأقصى والمنشآت العلمية في القرن التاسع، وأردنا هنا إيضاح صورة من اهتمام سلاطين الدولة الأولى وذلك في نهايات القرنين السابع والثامن الهجريين. ومن نافلة القول أن نذكر أن اهتمام السلاطين والأمراء المماليك لم يكن ينسحب فقط على رعايتهم للمنشآت الدينية والعلمية في القدس بل عنوا عناية خاصة بالوظائف العلمية والدينية التي كانت تحت إشرافهم في نيابة القدس الشريف. ومن الجدير بالإشارة أن نذكر أن مدينة القدس خلال العصر الأيوبي كانت تابعة لأحد أمراء السلطان ويطلق عليه والٍ، ويمكن أن نقول أنها استمرت على هذا الحال في أوائل العصر المملوكي الأول حيث تشير الدلائل في المصادر الإسلامية أنها كانت ولاية صغيرة تتبع نائب دمشق، وهو الذي يتولى أمرها وينيب من يحكمها، وكان آنذاك يطلق عليه نائب ولهذا نجد أن في بعض النصوص عند المقريزي وابن عبد الظاهر ما يشير إلى كونها نيابة[٢] ولكنها نيابة من النيابات الصغرى التي يولي نائب الشام نوابها وقد أضافها ابن تغري بردي هي والرملة وصيدا وبيروت وبعلبك وغيرها إلى مهام والي دمشق وأنه هو

---

[١] **العليمي:** نفس المصدر، جـ ٢، ص٩٦.

[٢] **ابن تغري بردي:** حوادث الدهور في مدى الأيام الشهور، جـ٣، ص ٥٤٥.

الذي ينيب الحكام فيها.[١] غير أن الإمام ابن حجر العسقلاني قد حسم بداية فصل نيابة القدس عن نيابة دمشق، وذلك تحديدًا في نصه الذي ذكره في حوادث عام ٧٧٧هـ/١٣٧٥م بقوله "وفيها استقر تمراز في نيابة القدس وهو أول من ولي نيابتها، وكانت قبل ذلك يكون فيها والٍ من جهة والي الولاة بدمشق".[٢] وقد أفاض د. علي سيد علي في توضيح ذلك الأمر واستيفاءه وخاصةً عندما عضض قول الحافظ ابن حجر بنص القلقشندي بأن "نائب القدس الشريف وهو ممن استحدثت نيابته في الدولة الأشرفية شعبان بن حسين في سنة سبع وسبعين وسبعمائة، فكانت قبل ذلك ولاية طبلخاناة" [٣]، وهذا يعني أن السلاطين المماليك في الدولة الأولى قد اهتموا اهتمامًا خاصًا بأمر القدس بإفرادها نيابة مستقلة مرتبطة ارتباطًا مباشرًا بالسلطان المملوكي في القاهرة وهو الذي يقوم بتعيين نائبها بعد ما كان هذا العمل منوط بنائب الشام بدمشق. هذا فضلاً عن الأهمية الدينية الخاصة التي تمثلها القدس بالنسبة للنصارى والصليبيين والمماليك آنذاك غير بعيدين عن اهتمام الصليبين بأمر القدس وقد كانت حملة بطرس لوزجنان على الإسكندرية ٧٦٦هـ/١٣٦٥م[٤] لم تبرد نارها بعد، وأدركوا ما يمكن أن يصيب القدس إذا تحالفت القوى الصليبية مع بعض القوى النصرانية

---

[١] **ابن عبد الظاهر:** تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، ص٣٦.

المقريزي: السلوك جـ١، حوادث ٦٦٥هـ.

علي السيد علي: المرجع السابق، ص ٣٣.

[٢] **إنباء الغُمر**، جـ١، ص ١٠٧، تحقيق حسن حبشي.

[٣] **صبح الأعشى**، جـ٧، ص ١٧٠.

[٤] **العيني:** عقد الجمان، حوادث عام ٧٦٧هـ.

المقريزي: السلوك، جـ٤، ص٢٨٣.

سعيد عاشور: مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك. ص ٢٣٧

الموجودة بالداخل فكان عليهم أن ينظروا إليها نظرة أخرى تأخذ في الاعتبار، مع أهميتها الدينية والسياسية فكان إفرادهم لها نيابة خاصة بها مرتبطة بالسلطان المملوكي في القاهرة. هذا ومن الجدير بالذكر أن د. علي السيد علي، قد ناقش في كتابه القدس في العصر المملوكي قضية أخرى مهمة، وهي أن الكثير من الأمراء المماليك عندما كان يغضب عليهم السلطان يقوم بنفيهم إلى القدس بطالين[١]، وقد أفرد لقضية اتخاذ القدس بالرغم من قدسيتها منفى للأمراء المغضوب عليهم جزئية توضيحية كبيرة في أطروحته، غير أننا نضيف هنا سببًا ضمنيًا مؤكدين به على ما ذكر في ذلك المصنف وهو أن القدس في ذلك الوقت كانت تعتبر من أهم نيابات الشام بعد دمشق وحلب فإن الذي ينفى إليها لم يكن يمثل خطرًا مباشرًا على السلطان المملوكي، أو أن السلطان لم يكن ينفيه إلا كما يقال في المثل "قرصة أذن"، ــ وذلك لإبعاده عن القاهرة آنذاك وهي مقر السلطنة ــ لأنها لم تكن بنفس المعنى الحقيقي للمنفى، هذا وتؤكد المصادر المملوكية على أن من يُنفى إلى القدس يُنفى بطالاً، والبطال هو الأمير بلا إقطاع[٢]، فهو محروم من مصدر رزقه، غير أن السلطان لم يقم بحبسه على سبيل المثال في سجن الإسكندرية بل اكتفى بإبعاده إلى القدس فلا يمكن أن يكون ذلك نفي تام بل كتحديد إقامة لا أكثر، مثلما أشار علي السيد علي في كتابه [٣]، ونقول ربما كان هذا النفي يعطي هؤلاء الأمراء فسحة من الوقت لمراجعة أحوالهم، والقرب أكثر في هذه المدينة المقدسة من الله والعبادة ــ فصلاة

---

[١] **بطالون:** ومفردها بطال، أي الأجناد والأمراء العاطلون من أعمال الدولة ووظائفها وإقطاعاتها نتيجة غضب السلطان أو كبر السن، أو اضطرارا إلى الاعتكاف والاختفاء، أو لمجرد حب الانزواء والابتعاد. **سعيد عاشور:** العصر المماليكي، ص٤١٩.

[٢] **سعيد عاشور:** العصر المماليكي، ص ٤١٩.

[٣] القدس في العصر المملوكي، ص٣٤.

المنفي بها بخمس مئة صلاة ــ ومدارسة العلوم الفقهية، وإنشاء المنشآت الدينية التي يتقربوا بها لله ﷻ، فقد جاء عند المقريزي في خبر عودة القاضي "زين الدين عبد الباسط بأهله وعتيقه الأمير جانبك الإستادار من مكة إلى بيت المقدس يقيم به حسب ما رسم له به، فنزل بمدرسته التي أنشأها على مسجد بيت المقدس، فسكن جأشه لأنه كان كثير القلق وهو بمكة".[١] وفي ذلك النص وبالرجوع إلى ترجمة الزيني عبد الباسط بن خليل في الضوء اللامع وجدنا أن سيرته محمودة وأنه كان من أرباب الدولة وأرباب الصلاح كما يقول السخاوي، وقد أنشأ الكثير من العمارة الدينية بدمشق والقاهرة وغزة والقدس.[٢] وهذا المثال نأتي به فقط للتأكيد على ما سبق أن ذكرنا في أمر كون بيت المقدس منفى للمغضوب عليهم من السلطان، لم يعني المعنى الحرفي للكلمة. ومما يثير انتباه الباحث أن السلاطين المماليك كانوا يراعوا سكان بيت المقدس مراعاة تامة بانتقاء الحكام والقضاة لهم ومراقبتهم وحرصهم على إقامة العدل بين رعيتهم من أهل بيت المقدس حتى لو لزم الأمر تغيير النائب أو القاضي، فهناك أكثر من إشارة في المصادر تؤكد على أن أهل بيت المقدس عندما كان يعسف بهم النائب يتقدموا بشكاية إلى السلطان فيقوم بعزله.[٣]

وذكر أيضًا مجير الدين واقعة مماثلة في عهد السلطان الأشرف قايتباي حيث رفع أهل القدس شكاية في حق جارقطللي النائب بالقدس، وقد سار فيهم سيرة سيئة وكان ظالمًا سفاكًا للدماء، فاستدعاه وسمع منه الشكوى، وأنصف الناس منه وأمره أن يدفع لهم ما أخذه، وعند ما ولي

---

[١] **المقريزي**: السلوك، جـــ٧، ص٤٥٩، حوادث ٨٤٤هـــ

[٢] **السخاوي**: المجلد ٢، جـــ٤، ص ٢٧، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٣.

[٣] **مجير الدين العليمي الحنبلي**: المصدر السابق: جـــ٢، ص٣١٥.

عليهم الأمير دقماق سار بهم نفس سيرة سلفه وظل أهل بيت المقدس بالسلطان حتى أقاله من منصبه، ونجد مجير الدين العليمي الحنبلي يتحدث عن ولاية الأمير جان بلاط ناظر الحرمين ونائب السلطنة ــ والذي تلقد منصبه بعد الآخيرين ــ واعتناءه بأهل بيت المقدس وتلطفه بهم حيث " لم يوقع فيهم الإفحاش كما تقدم زمن دقماق النائب".[١]

ومن جل اهتمام السلاطين المماليك بأمر القدس، إفرادهم الوظائف الدينية والعلمية بالقدس واختيار القائمين عليها، فمن المعروف أن الوظائف الدينية في الدولة المملوكية كان يتولاها أرباب الأقلام من العلماء والقضاة وغيرهم، ومن أهم الولايات الدينية في التاريخ الإسلامي بصفة عامة وتاريخ الدولة المملوكية بصفة خاصة وكما أشار القلقشندي في صبح الأعشى إلى ذلك ولاية القضاء، ومن المشهور أن القضاء في مصر كان ومنذ عهد السلطان صلاح الدين والولاية الكبرى فيه لقاضي القضاة الشافعية باعتبار أن السلاطين الأيوبيين كانوا شافعية المذهب، وبالرغم من أن المماليك كانوا حنفية المذهب، إلا أن القضاء ظل للشافعية إلى أن قلد السلطان الظاهر بيبرس٦٥٨ــ٦٧٥هـ/١٢٦٠ــ١٢٧٧م، فجعل لكل مذهب من المذاهب قاضي للقضاة[٢]، وكان المذهب السائد في بيت المقدس منذ دولة بني أيوب هو المذهب الشافعي، غير أنه كان هناك تواجد للمذهب الحنفي، وذلك لكثرة الأمراء المماليك الذين تواجدوا في بيت المقدس خلال العصر المملوكي الأول والثاني، وربما ذلك كان نتيجة لكثرة الأمراء الذين أخرجوا للقدس بطالين وللحاشية والأجناد الذين كانوا يصحبوا نائب القدس في ذلك الوقت. وتشير النصوص أن نيابة القدس في عهد الدولة المملوكية

---

[١] **الأنس الجليل:** جـ٢، ص٣٦٦.

[٢] **سعيد عاشور:** مصر والشام في عهد سلاطين المماليك، ص ٣٠٢.

الثانية أصبح ينعقد أمر القضاء فيها للقضاة الأربعة للمذاهب الأربعة الشافعية والمالكية والحنفية والحنابلة، فيذكر ابن حجر العسقلاني في حوادث عام ٨١١هـ/١٤٠٨م، وعلى عهد السلطان الناصر فرج بن برقوق٨٠٢ ــ٨١٥هـ/١٣٩٩ــ١٤١٢م، أنه في هذه السنة أعيد التجديد بالقدس والرملة للأربع قضاة[١] ، ــ ولا أثبت وأصدق من ابن حجر عندما ترد لنا هذه المعلومة في مصنفه فهو أحد قضاة القضاة الشافعية بالدولة المملوكية لفترة ليست بالقليلة وهو صاحب التراجم المشهور، بل وشاهد عيان على تلك الأحداث ــ وكانت تولية قضاة القدس من اختصاص السلطان بالقاهرة فهو الذي يقوم بتوليتهم وظائفهم وهي من الوظائف الجليلة التي تعطي للقضاة مكانة في الدولة واحترام الأمراء المماليك، وكان للقاضي هيبة عند الناس وأمره نافذ في كثير من الأحكام ولدى أرباب الحرف وكان العديد منهم على درجة من العفة وطهارة اليد ويكفيه ما يتقاضاه من راتب يصل إلى عشرة دراهم في اليوم دون النظر إلى البذل والبرطلة.[٢] غير أن المقريزي أورد لنا نصًا يؤكد على أن في دولة المماليك الأولى وفي عهد الكامل شعبان بن الناصر محمد بن قلاوون والذي اشتهر عهده بأخذ السلطان للبراطيل والرشى، أن أحد قضاة القدس وهو ابن سالم كان قد عزل وأثبت عليه محضرًا في أنه باع أيتامًا من يتامى المسلمين الأحرار للنصارى، فما زال "ابن سالم يسعى بالخدام حتى كتب له توقيع بقضاء القدس، على ألف وخمسمائة دينار حملها للسلطان ومثلهما لمن سعى له"[٣] وهذا النص يؤكد أنه مهما كانت الوظيفة تقوم على

---

[١] إنباء الغمر بأبناء العمر، جـ ٢، ص ٣٩٨.

[٢] **على السيد علي:** القدس في العصر المملوكي، ص ٤٩، ٥٠.

[٣] السلوك، جـ٤، ص١٩

الشرف والعفة والأمانة، وليس هناك ما هو أشرف من القضاء، إلا أنه لابد وأن يكون هناك بعض الشواذ الذي يثبت القاعدة، وهم من أصحاب النفوس الضعيفة، هذا وإن دأب كل زمان ومكان طالما أن السلطان لا يتقي الله في رعيته يكون هذا هو حال قضاته. ومن الوظائف الدينية الهامة في القدس والتي أولاها السلاطين المماليك عنايتهم، نظر الحرمين وهي وظيفة قديمة لنظر الحرمين حرم بيت المقدس، والحرم الإبراهيمي في الخليل نشأت بعد الفتح الصلاحي للقدس٥٨٣هـ/١١٨٧م، وقد اختار صلاح الدين الشيخ موسى بن غانم الأنصاري ليتولى مشيخة الحرم والنظر عليه والتصرف في أوقافه، ثم تتابع السلاطين الأيوبيين في تولية المشائخ على هذه الولاية، وفي عهد الظاهر بيبرس عين الأمير أيدغدي بن عبد الله الصالحي ليتولى نظر الحرمين في القدس، وعندما استحدثت النيابة في دولة الناصر محمد جمع السلاطين المماليك ما بين وظيفة نائب القدس وناظر الحرمين بالقدس فكان يتولاهما أمير واحد، وربما حدث فصل في الولايتين، غير أن هذا كان نادرًا ما يحدث عندما قام السلطان برقوق بفصل الوظيفتين، وجاء الناصر فرج ليوضح ذلك رسميًا باستصدار مرسوم للفصل بين الوظيفتين، غير أن ظاهرة الجمع بين الوظيفتين عادت مرة أخرى وظل ذلك حتى آخر عهد السلطان الأشرف قايتباي٨٧٣ـ٩٠٢هـ/١٤٦٨ـ١٤٩٦م، على ما يذكر مجير الدين ذلك تحديدًا[1]، أما خطيب القدس والذي كان عادةً ما يجمع بين القضاء والخطابة، أو التدريس في المدرسة الصلاحية ببيت المقدس، ونظرًا لأهمية المدرسة الصلاحية، والخانقاة الصلاحية والتي

[1] **السخاوي:** التبر المسبوك، ص ٨٦.الأنس الجليل، جـ٢، ص ٢٧٦. **خليل عثامنة:** الأوضاع الإدارية في فلسطين أيام المماليك، ص ٥.

تضارع خانفاة سعيد السعداء[١] بمصر وقد أوقفها الناصر صلاح الدين الأيوبي بعد فتحه للقدس عام ٥٨٨هـ/١١٨٩م،

فقد أفرد لها الحكام من السلاطين المماليك اهتمام خاص بتولية مشايخهم من قبل السلطان حيث يرسل إليهم السلطان بالتواقيع على ولايتهم من القاهرة[٢]، هذا فضلاً عن المدارس الأخرى التي سنتحدث عنها بالتفصيل خلال الصفحات القادمة.وجاء في دراسة حديثة عن كتابات الرحالة الأوربيين، أن من اهتمام سلاطين المماليك وعنايتهم بمقدسات المسلمين في بيت المقدس عدم سماحهم للنصارى واليهود بدخول المسجد الأقصى، "وإلا تعرضوا للقتل أو دفع جزية تقدر أحيانا بمبلغ عشرة آلاف دوكة ذهبية، ولكن بعض الرحالة الأجانب استطاعوا دخوله، كما فعل الرحالة الألماني فون هارف الذي كان يحمل خطابا من السلطان المملوكي، وعليه ختم السلطنة وفيه " يأمر أتباعه ومواليه باحترام حامل الرسالة ومساعدته لرؤية ومشاهدة كل الأماكن والمزارات وتقديم الخدمات الازمة"[٣].

---

[١] **خانقاة سعيد السعداء:** وكان يطلق عليها في الدولة الفاطمية دار سعيد السعداء وهو الأستاذ قنبر وقيل عنبر وهو أحد الأستاذين المحنكين خدام القصر، تناوب عليها الوزراء مثل شاور وابنه الكامل إلى أن دانت مصر لصلاح الدين الأيوبي رسم هذه الدار باسم الفقراء الصوفية من كافة بلاد الإسلام ووقفها عليهم في سنة ٥٦٩هـ وولى عليهم شيخا، ووقف عليهم بستان الحبانية بجوار بركة الفيل وقيسارية الشراب بالقاهرة، وناحية دهمور من البهنساوية، وشرط عليهم شروطا وقد تولاها من المشايخ والأعيان مثل أولاد شيخ الشيوخ بن حمويه، والوزير الصاحب قاضي القضاة ابن بنت الأعز وغيرهم. وقد أطلق عليها المقريزي الخانقاة الصلاحية. **المقريزي:** الخطط،ج٤. ص ٢٧٥.

[٢] **على السيد علي:** المرجع السابق، ص٥٣ **عارف العارف:** المرجع السابق: ص٨١

[٣] **سماح السلاوي:**الأوضاع الحضارية في مصر والشام في العصر المملوكي من خلال كتابات الرحالة الأوربيين، ص٢٠٠، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية البنات، جامعة عين شمس ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

ومن خلال الأمثلة السابقة وما جاء بين سطور المصادر المملوكية عن بيت المقدس والتي وصف أكثرها شهود عيان لتلك الفترة نرى أن عناية السلاطين والأمراء المماليك للقدس بشكل خاص ولجنوب الشام بشكل عام يؤكد على اهتمامهم البالغ بالأماكن المقدسة في دولة الإسلام والتي تشكل القدس واحدة منها فضلاً عن الخليل، هذا وبالنظر القياسي لما كان يقوم به هؤلاء السلاطين من العناية التامة ببلاد الحجاز في مكة

جاء هذا النص في دراسة تعالج الأوضاع الحضارية في مصر والشام في العصر المملوكي من خلال كتابات الرحالة الأوربيين، غير أن الباحثة لم تذكر اسم السلطان الذي أعطى هذا التصريح للرحالة الألماني المذكور، ولم تعلق على هذا النص أو تحلله، وبالنظر في أحوال المماليك الاجتماعية فلم يرد في العديد من المصادر التي رجعت إليها أي إشارة تذكر عن قيام السلطات المملوكية بقتل من يدخل المسجد الأقصى من أهل الذمة، وأن هؤلاء كانوا يحيون حياة طبيعية كأعضاء في نسيج المجتمع المقدسي كما هو الحال في حواضر المماليك الأخرى كالقاهرة ودمشق، سواء من أهل الذمة من المواطنين أو من المستأمنين، وأن هذا الرحالة لم يدخل إلا بإذن السلطان، وقد استعملت لفظ الجزية كما جاء في النص في حين أن استعمال ذلك اللفظ كان قد تضاءل نسبيا في تلك الفترة، وكان يستخدم لفظ المكوس، فقد جاء النص هكذا من وجهة نظر ذلك الرحالة والذي أراد أن يظهر لنا تعسف المسلمين القائمين على أمر القدس، في حين أنه أُعطي تصريح بدخول تلك الأماكن وأمر من فيها بمعاملته معاملة طيبة وتقديم اللازم له، ويبدو أن تلك الحادثة والتي أخذتها الباحثة كقياس لولوج هؤلاء الرحالة للمقدسات الإسلامية، كان في العصر المملوكي الثاني، وذلك لاستخدام الرحالة لفظ الدوكات التي كانت تؤخذ كجزية، لأن انتشار النقد البندقي كان في القرن الثامن الهجري، حيث أصبحت العملات الذهبية المضروبة في مدينة البندقية والتي عرفت باسم الدوكات هي النقود الأكثر تداولا في الأسواق المملوكية في مصر والشام آنذاك بالرغم من تواجد هذه العملة خلال العصر المملوكي الأول، كان الأحرى بتلك الدراسة أن تحلل النص الوارد في كتابات ذلك الرحالة من وجهة النظر الفعلية وتتأكد هل كان بالفعل يحدث قتل لمن يدخل المسجد الأقصى لأهل الذمة، أو تغريمهم نقودا نظير ذلك.

المكرمة والمدينة المنورة، وهما الحرمان الجليلان لأدركنا كيف كان يستطيع هؤلاء المماليك أن يفرضوا السياج الإسلامي على دولتهم وأنهم بحق حماة ديار الإسلام في ذلك العصر.

دور المسجد الأقصى والمنشآت العلمية في ازدهار الحركة العلمية:

اهتم المسلمون بالمدينة المقدسة اهتمامًا كبيرًا، فلم تمر مرحلة من مراحل التاريخ الإسلامي على اختلاف دوله، إلا أقام المسلمون في القدس بناءًا جديدًا أو أصلحوا بنائها القديم، ففي عهد الخلفاء الراشدين أقام عمر بن الخطاب مسجدًا، وقد بلغ من احتفائه بالصخرة المشرقة أن أزال بيده الكريمة ما تراكم عليها من تراب وأقام عليها مصلى[١]، وفي العهد الأموي بنى عبد الملك بن مروان مسجد قبة الصخرة المشرفة، ورصد لبنائه خراج مصر لسبع سنين، ونقش اسمه على القبة من تاريخ البناء سنة ٧٢هـ/٦٩٢م، وبنى كذلك المسجد الأقصى وأتم بناءه الوليد[٢]، وتوالى على تجديده وتزينه بالنقوش والقناديل والسجاجيد عدد كبير من الخلفاء والأمراء الأمويين والعباسيين، ثم السلاطين الأيوبيين والمماليك، فقد توالت يد الترميم والصيانة والعناية بالمسجد الأقصى طوال عهد السلاطين المماليك البحرية والجراكسة، ولكنهم لم يغيروا من معالمه الأصلية التي ترجع إلى العصور الإسلامية المختلفة[٣]، فالأقصى لم يكن فقط مسجدًا إسلاميًا منوطًا بالرعاية لكونه في المدينة المقدسة، بل كان هو

---

[١] **السيوطي:** إتحاف الإخصا بفضائل المسجد الأقصى، حـ٢، ص ١٧٩، تحقيق أحمد رمضان أحمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤م.

[٢] **المقدسي:** مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام، ص ٧.

السيوطي: الصدر السابق، جـ٢، ص ١٨٠.

[٣] **السيوطي:** المصدر السابق جـ٢، ص ١٨٦.

معراج رسول الله ﷺ ومحل إسراءه، وقد أوضحت الدراسات الإسلامية مدى أهمية الصخرة الشريفة وقدسيتها وقد ذكر ابن الجوزي مرفوعًا إلى ابن عباس رضي الله عنه "أن صخرة بيت المقدس من صخور الجنة"، هذا فضلاً عن الأحاديث الكثيرة التي جاءت تؤكد على فضل بيت المقدس والأقصى المبارك والصخرة الشريفة[١]، ولهذا اتخذ تلك القيمة الدينية الكبيرة التي كانت وما زالت وستظل إلى أن تقوم الساعة.

فأهمية الأقصى الدينية تأتي بعد أهمية القدس ولا يمكن بحال من الأحوال الفصل بينهما وقد أشارت كثير من المصادر إلى كيفية بناء الأقصى منذ قديم الزمان وصفاته العجيبة على أيام بناء سيدنا سليمان عليه السلام، غير أن مجير الدين العليمي قد وصف لنا المسجد في زمانه، وهي الفترة التي نحن بصدد الحديث عنها توصيفًا دقيقًا، يبرز ما قد انتهى إليه من حسن البناء والإتقان المعماري فيقول "فالجامع الذي في صدره عند القبلة التي تقام بينها الجمعة وهو المتعارف عند الناس أنه المسجد الأقصى يشتمل على بناء عظيم به قبة مرتفعة مزينة بالفصوص الملونة، وتحت القبة المنبر والمحراب، وهذا الجامع ممتد من جهة القبلة إلى جهة الشمال وهو سبع أكوار متجاورة مرتفعة على العمد الرخام والسواري فعدة ما فيه من العمد خمسة وأربعون عمودًا منها ثلاث وثلاثون من الرخام، ومنها اثنا عشر مبنية بالأحجار"[٢]، ولعلنا أوردنا هذا النص لنؤكد على القيمة المعمارية التي كان عليها الأقصى، ولقد بدأنا بالحديث عن الأقصى في إظهار مدى ما كان يشكله من أهمية للحركة التعليمية خلال

---

[١] **ابن الجوزي:** فضائل القدس، ص ١٤١، تحقيق د. جبرائيل سليمان جبور، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٠م.

[٢] **الأنس الجليل:** جـ٢، ص١١.

القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي، وذلك لأن المسجد الأقصى بما يحويه من كل منشآت علمية كان يمثل القيمة الحقيقية التي تشكلت منها الحركة العلمية، فلم يكن الأقصى بحدوده المتعارف عليها من قبل المعماريين المسلمين والمؤرخين إلا صرحًا دينيًا علميًا ثقافيًا كبيرًا، فقد ضم بين جنباته وأروقته المدارس والأربطة والزوايا والمصاطب وغيرها التي اتخذت أماكن لإثراء الحركة العلمية، ومنذ أن بُني إلى الفترة التي نحن بصدد بحثها خلال هذه السطور. وسواء هذه المنشآت المعمارية التي أنشأت في الأقصى كان بناؤها على عهد المماليك بدولتيهم أو أن بنائها كان قديمًا منذ إنشاء الأقصى فإن عطائها العلمي والفكري والديني كان ممتد إلى الفترة التي تخص البحث، وعليه فسوف نذكر المدارس والزوايا والأربطة والمصاطب حسب تواجدها في الأقصى ونؤكد على تاريخ فترة بنائها وعلى أهميتها العلمية، وسوف نتتبع في إيضاح ذلك، المنشآت والأبنية العلمية التي تقارب أسوار الأقصى من الخارج منتهين بها إلى داخلية المسجد الأقصى موضحين مدى أثرها العلمي وتاريخ بنائها.

المنشآت العلمية بأسوار الأقصى من الخارج وفي داخله:

أسوار المسجد الأقصى وأروقته، حفلت بالعديد من المدارس، ومن المعروف أن معظم أروقة الحرم القدسي من بناء المماليك والقليل بُني في العصر الأيوبي، وهي عبارة عن دعامات حجرية ضخمة تعلوها العقود والقباب، وجميعها مبنية من الحجر، أما أرضيتها فمكسية ببلاطات حجرية وترتفع هذه الأروقة عن ساحة المسجد الأقصي ببضع درجات[١].

[١] **يوسف غوانمة:** تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي.عمان. الأردن ص١٥٣.

فأول المنشآت التي تقابلنا من ناحية الرواق الشمالي حيث مئذنة باب الأسباط والتي أنشأت عام ٧٦٩هـ/١٣٦٧م إبان حكم السلطان الملك الأشراف شعبان بن حسين بن الناصر محمد، **المدرسة الغادرية**، وهي داخل المسجد الأقصى، بنتها مصر خاتون (خديجة خاتون) في عهد السلطان الأشرف برسباي في عام ٨٣٦هـ/١٤٣٢م، وقد أوقف زوجها عليها الأوقاف وهو الأمير ناصر الدين بن دلغادر فعرفت بالغادرية نسبة إليه.[١]

وفي داخل أسوار الأقصى في الرواق الشمالي منه تطالعنا فيه المدرسة **الدوادارية**، وهي التي أوقفها الأمير علم الدين سنجر الدوادار، وذلك في سنة ٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م، وهي من المنشآت الأيوبية [٢] وفوق الرواق الشمالي أيضًا وقبالة المدرسة الدوادارية تقع المدرسة **الباسطية**، والتي أوقفها القاضي زين الدين عبد الباسط بن خليل الدمشقي سنة ٨٣٥هـ/ ١٤٣١م، وهي عبارة عن قسمين، واحد مأهول والآخر تشغله المدرسة البكرية، والتي تفتح أبوابها خارج المسجد الأقصى، وجزء منها يقع فوق الرواق الشمالي للمدرسة الباسطية، والباسطية تقترب من باب العتم، وقد أنشأها في الأصل شيخ الإسلام شمس الدين محمد الهروي، شيخ المدرسة الصلاحية، وناظر الحرمين، غير أنه توفى قبل إتمام عمارتها، فأتمها القاضي زين الدين عبد الباسط بن خليل ناظر الجيوش المنصورة وعزيز المملكة عام ٨٣٤هـ/ ١٤٣٠م، وعرفت باسمه إلى اليوم [٣]، ويذكر مجير الدين أنه قرأ في شروط وقفها أنه يُلزم الصوفية بقراءة الفاتحة عقب الحضور وإهداء ثوابها لشيخ الإسلام الهروي.

---

(١) **الأنس الجليل:** جـ٢، ص ٤٠.

عارف العارف: تاريخ القدس، ص٩٦.

(٢) **راجع الأمير علم الدين سنجر:** ص١١من البحث.

(٣) **مجيرالدين: الأنس الجليل: جـ٢، ص ٣٩٠ عارف العارف: المرجع السابق، ص ٩٦.**

المدرسة الأمينية، وهي أيضًا في الرواق الشمالي للمسجد الأقصى بالغرب، مما يطلق عليه حاليًا باب فيصل، وهو باب شرف الأنبياء، أو باب العتم أو باب الدوادارية لقربه منها، وقد أنشأها الصاحب أمين الدين عبد الله سنة ٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م، ولهذه المدرسة باب وغرف فوق رواق المسجد الأقصى الشمالي، وهي عبارة عن بناء ذي أربع طوابق، وتقع شرقي المدرسة الفارسية، وكانت تدعى بدار الإمام لسكن الشيخ الإمام فيها [١].

المدرسة الفارسية، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى واقفها الأمير فارس الدين ألبكي بن قطلوملك بن عبد الله نائب السلطان في عام ٧٥٥هـ/ ١٣٥٤م، والمدرستان الأمينية والفارسية متداخلتان الغرف في الطابق العلوي منهما[٢].**المدرسة الملكية**، وهي تقع بين الفارسية والأسعردية، أُنشئت عام ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م، في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون، أوقفها الحاج آل ملك الجوكندار [٣]، وأنشأها من أموال زوجته، وقد أوقف عليها عدة وقفيات زاد فيها مخصصات المدرسة آخرها عام ٧٥٧هـ/١٣٥٦م، ومدخلها مشترك مع الأسعردية، وهي عبارة عن طابقين، وأضافت بعض العاملات فيها غرف صغيرة في الطابق العلوي[٤].

---

(١) **مجير الدين:** المصدر السابق، جـ٢، ص ٣٩. **عارف العارف:** المرجع السابق، ص ٩١.

(٢) **مجير الدين:** المصدر السابق، ص ٣٨.

(٣) **الأمير آل ملك الجوكندار:** آل ملك بن عبد الله الأمير سيف الدين نائب السلطان بديار مصر والمعروف بحاج آل ملك من أكابر الأمراء ومن مشايخ المشورة، عندما عاد الملك الناصر بن الكرك، قربة إليه وزادت منزلته وعمر العمائر في أنحاء كثيرة من السلطنة بالشام والحجاز ومصر، وله إصلاحات كثيرة بطريق الحاج وأجرى بها عيونا وفي منى ومكة، توفى في عام ٧٤٧هـ/١٣٤٦م. و**الجوكندار**،وظيفة من الوظائف المملوكية، فالجوكان عصى مدهونة طولها نحو أربعة أذرع برأسها خشبة مخروطية معقوفة تستخدم في لعب الكرة (البولو الحديثة)، والجوكان دار هو الذي يحمل جوكان السلطان أثناء لعب الكرة.**ابن تغري بردي:** المصدر السابق، جـ٣، ص ٨٨.**سعيد عاشور:** العصر المماليكي.ص٤٢٩.

(٤) **العليمي:** المصدر السابق، جـ٢، ص٣٨.

المدرسة الأسعردية، وهي على مقربة من الجاولية شمال الأقصى بنيت حوالي ٧٦٩هـ/ ١٣٥٨م، أوقفها الخواجا مجد الدين عبد الغني بن سيف الدين أبي بكر بن يوسف الأسعردي سنة ٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م، وهي بناء واسع، يطل نتوء محراب مسجدها على ساحات المسجد الأقصى من الرواق الشمالي، ومسجدها واسع جميل المحراب، وهي على طابقين[١].

المدرسة النصيبيَّة، أوقفها الأمير علاء الدين علي بن ناصر الدين محمد نائب قلعة نصيبين[٢]، وذلك سنة ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م، وهي تشكل جزءًا من المدرسة الفخرية بالقدس، وتقع خارج المسجد الأقصى بل على حدوده، هذا وقد أسمى مجير الدين الحنبلي هذه المدرسة الصبيبية، وهو تصحيف في الاسم، وهي غرب المدرسة الأسعردية [٣].

المدرسة الجاولية، وتقع خارج ساحات الأقصى على حدوده في الجهة الشمالية الغربية، وهي وقف الأمير علم الدين سنجر بن عبد الله الجاولي أحد أمراء الظاهر بيبرس بنيت حوالي عام ٧١٥ – ٧٢٠هـ/ ١٣١٥ – ١٣٢٠م، وكانت تستخدم للتدريس خلال قرن واحد فقط، ثم في عهد مجير الدين العليمي استعملت سكنًا لنواب القدس، وهي قريبة من درج الغوانمة عند زاوية الأقصى الشمالية [٤].

---

[١] **العليمي:** المصدر السابق، جـ٢، ص ٣٨.

عارف العارف: المرجع السابق، ص ٩٤.

[٢] **نصيبين:** مدينة من مدن إقليم الجزيرة الفراتية على الطريق ما بين الموصل وبلاد الشام، وهي من المدن القديمة العامرة. **ياقوت الحموي:** معجم البلدان، جـ٥، ص٢٨٨،دار صادر بيروت.

[٣] **مجير الدين العليمي:** المصدر السابق، جـ٢، ص ٣٨.

عارف العارف: المرجع السابق، ص ٩٦.

[٤] **العليمي:** المصدر السابق، جـ٢، ص ٣٨.

عارف العارف: المرجع السابق، ص ٩٠.

المدرسة المنجكية، تقع هذه المدرسة بباب الناظر فوق الرواق الغربي، أنشأها الأمير سيف الدين منجك [١] سنة ٧٦٣هـ/ ١٣٦١م، وهي عبارة عن طابقين يصعد إليها بدرج [٢].

المدرسة العثمانية، تقع هذه المدرسة فوق باب المطهرة (المتوضأ)[٣]، وحتى المدرسة الأشرفية، وهي طابقان جلهما خارج المسجد الأقصى المبارك، وقفتها أصفهان خاتون بنت محمود العثمانية عام ٨٤٠هـ/١٤٣٦م في عهد الأشرف برسباي، والمدرسة طابقان، ومسجد ومدرسة على مستوى ساحات المسجد الأقصى[٤].

المدرسة الأشرفية، تقع هذه المدرسة بالقرب من الرواق الغربي للأقصى المبارك قريبًا من باب السلسلة في شماله، بدأ العمل بإنشائها مكان الأشرفية التي هدمها الملك الأشرف قايتباي بسبب عدم إعجابه بها، وذلك في سنة ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م، واستمر العمل فيها ثلاث سنوات،

---

[١] **الأمير سيف الدين منجك:** تنقل في خدمة الناصر حتى رتب سلاح دار واشتهر وتردد إلى الشام، ثم استقر حاجبًا بدمشق في رجب عام ٧٤٨هـ/١٣٤٧م، ترقى في الإدارة حتى وصل إلى أمير ألف تلقى عدة أمرات بالشام منها نيابة طرابلس ٧٥٥هـ/١٣٥٤م، حلب ٧٥٩هـ/١٣٥٧م، وتوفى عام ٧٧٦هـ/١٣٧٤م

ابن حجر: الدرر الكامنة، جـ٢، ص ٢٢٠.

[٢] **عارف العارف:** المرجع السابق، ص ٩٤.

[٣] **باب المطهرة:** وقد عرف هذا الباب أيضاً باسم باب السقاية، نسبة للسقاية أو المتوضأ التي أقيمت في الفترة الأيوبية في عهد السلطان الملك العادل أبو بكر محمد بن أيوب في سنة ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م، والتي كان يتوصل إليها من خلال هذا الباب. كما وعرف هذا الباب بباب المتوضأ في زمن مجير الدين، والذي أشار إلى إعادة تجديده في الفترة المملوكية على يدي الأمير علاء الدين البصيري. **دليل المسجد الأقصى:** الموقع السابق.

[٤] **العليمي:** المصدر السابق، جـ٢، ص ٣٦.

والمدرسة قسمان: قسم داخل المسجد الأقصى المبارك، والآخر خارجه، والذي داخله عبارة عن طابقين، يستخدم الطابق الأرضي الآن كمقر لمكتبة الأقصى جملة، وكانت في أصل بنائها مصلى الحنابلة في المسجد الأقصى المبارك، والثاني مسجد المدرسة، وهي جميلة البناء، وقد اشتملت عناصر بنائها على صنوف من الحجارة المشهرة والملونة باللونين الأحمر والأبيض المتتالين، وامتازت بفنائها بالعناصر المعمارية والزخرفية، ووصفت المدرسة بالجوهرة الثالثة في الحرم الثالث بعد قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى المبارك[١].

المدرسة التنكزية، تقع خارج سور المسجد الأقصى المبارك الغربي، عدا قسم من أروقتها فوق أروقة المسجد الغربية، بدأ العمل بها في عام ٧٢٩هـ/ ١٣٢٨م، وقد نسبت لصاحبها الأمير تنكز الناصري نائب الشام، وهي من المدارس ذات الطراز المعماري الجميل، تقع في داخل المسجد الأقصى، وقد استخدمت كدار للحديث، وسكنها السلطان الناصر فرج بن برقوق[٢].

دار الحديث الشريف، وهي تقع على محيط المسجد الأقصى أقرب للناحية الشمالية، أما المبنى فهو عبارة عن مسجد تعلوه قبتان ومحراب في الناحية الجنوبية، وكانت في البداية تستخدم كمدرسة لتدريس الفقه الشافعي،

---

[١] **مجير الدين العليمي:** الأنس الجليل، جـ٢، ص ٣٦.

عارف العارف: المرجع السابق، ص ٩٨.

[٢] **العليمي:** المصدر السابق، جـ٢، ص ٢٥. **عارف العارف:** المرجع السابق، ص ٩١.

وقد وقفها الأمير شرف الدين عيسى بن بدر الدين محمد بن أبي القاسم الهكاوي عام ٦٦٦هـ/ ١٢٦٧م، وهي على طريق باب السلسلة [١].

المدرسة الأباصيرية، تجاه الرباط المنصوري، من أوقاف الأمير علاء الدين إيدوغدي عام ٦٦٦هـ/ ١٢٦٧م، واتخذ منها مدفناً [٢].

المدرسة الكريمية، وهي بباب حطة[٣]، وقفها الصاحب كريم الدين عبد الكريم بن المعلم هبة الله بن مكانس ناظر الخواص الشريفة بالديار المصرية في عام ٧١٨هـ/ ١٣١٩م[٤].

المدرسة الأرغونية، وهي عند باب الحديد[٥] من أبواب الحرم الشريف من الناحية الغربية، أنشأها الأمير أرغون الكاملي عام ٧٥٨هـ/

---

[١] **مجير الدين العليمي:** المصدر السابق، جـ٢، ص٤

[٢] **العليمي:** المصدر السابق، جـ٢، ص .

عارف العارف: المرجع السابق، ص ٨٨.

[٣] **باب حطة:** وهو أيضاً من أبواب الحرم الشريف القديمة فقد تم ذكره عند ابن الفقيه وابن عبد ربه والمقدسي كما مر معنا سابقاً. ولكن بناءه الحالي يعود للفترة الأيوبية، حيث تم تجديده في سنة ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م،وذلك حسب النقش التذكاري الذي كان موجوداً فيه، والذي ورد فيه ما نصه: "جدد هذا الباب في أيام دولة السلطان الملك العظيم شرف الدين عيسى بن الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أبوب وذلك في شهر رجب من سن سبع عشرة وستمائة". **دليل المسجد الأقصى:** الموقع السابق.

[٤] **مجير الدين العليمي:** المصدر السابق، جـ٢، ص ٣١٩.

عارف العارف: المصدر السابق، ص٩١.

[٥] **باب الحديد:** وقد عرف أيضا بباب أرغون نسبة للأمير أرغون الكاملي الذي قام بإعادة بنائه في الفترة الواقعة ما بين (٧٥٥-٧٥٨هـ/ ١٣٥٤-١٣٥٧م). ومعنى كلمة أرغون بالتركية هي الحديد. **دليل المسجد الأقصى:** الموقع السابق.

١٣٥٧م، ثم أكملها من بعده الأمير ركن الدين بيبرس سنة ٧٥٩هـ/ ١٣٥٨م، هذا وكان الأمير أرغون هو الذي بنى باب الحديد، وكان قديمًا يعرف باسمه[١].

المدرسة الخاتونية، وهي بباب الحديد غربي الحرم، وإلى الشمال من باب القطانين، أوقفتها أغل خاتون بنت شمس الدين محمد بن سيف الدين القازانية البغدادية عام ٧٥٥هـ/ ١٣٥٤م، وأكملت عمارتها أصفهان شاه بنت الأمير قازان شاه عام ٧٨٢هـ/ ١٣٨٠م [٢].

المدرسة الطولونية، وهي تقع فوق الرواق الشمالي من أروقة المسجد الأقصى إلى الغرب من باب الأسباط، أنشأها شهاب الدين أحمد بن الناصري محمد الطولوني في عهد السلطان الظاهر برقوق، وكان شاد البناء مملوكه أقبغا عام ٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م [٣].

هذا وبجوار المدارس التي وجدت في المسجد الأقصى المبارك وعلى حدوده هناك نوع آخر من المنشآت العلمية التي كان لها أثر في الحركة العلمية بالأقصى والقدس خلال القرن التاسع الهجري، وهو ما عرف آنذاك بالمصاطب[٤]،

---

[١] **العليمي:** المصدر السابق: جـ٢، ص ٣٦ – ٣٧.
عارف العارف: المرجع السابق، ص٩٣.

[٢] **العليمي:** المصدر السابق، جـ٢، ص ٣٦

[٣] **العليمي:** المصدر السابق، جـ٢، ص .

[٤] **المصطبة:** اتخذ هذا المصطلح عدة معاني، منها: أن يكون عبارة عن خط عريض مزدوج يستخدم في زراعة الخضروات، أو أنها سطح مستوي صغير نسبيًا عن الأرض ينحدر من إحدى جانبيه، عادة انحدار شديدًا، و يحف بنهر أو بحيرة، وما كان يتخذه السلطان والأمراء من منصة يقف أو يجلس أثناء استقبال الوفود، والمصطبة التي نقصدها هنا هي ذلك المكان المرتفع المربع أو المستطيل الشكل

وبالرغم من أن الكلمة تبدو كاصطلاح شعبي إلا أنها أدت غرض علمي هام، وهو خروج علماء المسجد الأقصى المبارك في فصل الصيف إلى ساحات المسجد للتدريس خارجه، وكانت تعد للتدريس وللصلاة، حيث يرتب فيها منبرًا تجاه القبلة إذا دخل وقت الصلاة صلى بهم المعلم، وكان ظهور هذا النموذج المعماري في العصر المملوكي غير أنه لم ينتشر انتشارًا واسعًا إلا في العصر العثماني، فلم يوجد من الآثار المملوكية من المصاطب إلا **مصطبة الظاهر**، والتي أُنشئت في سنة ٧٩٥هـ/ ١٣٩٢م، وهي تقع شمال غرب ساحات المسجد الأقصى، وهي مصطبة واسعة نسبت بهذا الاسم إلى مجدد بنائها ومحرابها الأمير بلوي الظاهري عام ٧٩٥هـ/١٣٩٢م، **ومصطبة علاء الدين البصيري**، وهي تقع شرق باب الناظر، أقيمت عام ٨٠٠هـ/١٣٩٧م، أقامها سيف الدين جركس الناصري، وللمصطبة محراب يحيطه عامودان رخاميان جميلان الشكل، وتعرف باسم مصطبة البصيري لقربها من سبيل البصيري ومحراب جركس، **مصطبة سبيل قايتباي**، وتقع جنوب شرق باب المطهرة وباب القطانيين، ودعيت بهذا الاسم إلى السبيل القائم في طرفها الشمالي الغربي، أنشأت هذه المصطبة من سنوات ٨٥٧ – ٨٦٥هـ/١٤٥٣ – ١٤٦١م، في عهد الملك

في ساحات المسجد الأقصى، وقد تبنى بالحجارة ويبلط سطحها بالبلاط الحجري، ويرتب فيها محراب أو حائط في اتجاه القبلة، وقد أنشأت لغرض الصلاة والتدريس معًا، وخاصة في فصل الصيف، وقد ظهر هذا الطراز في العصر المملوكي ولكنه انتشر وشاع في المسجد الأقصى خلال العصر العثماني.**زين العابدين شمس الدين نجم:** معجم الألفاظ والمصطلحات التاريخية ــ ط١ ــ القاهرة سنة ٢٠٠٦.

الأشرف سيف الدين إينال، وعليها محراب حجري[١].ومن الملاحظ أن هذه المصاطب تجاور دائمًا الأسبلة[٢]، التي كانت منتشرة بكثرة في ساحات المسجد الأقصى المبارك، وربما أن ذلك كان بسبب توفر المياه بجوار الأسبلة، مما يسهل لمتلقي العلم من الطلاب ومرتادي المسجد الأقصى سهولة الوضوء من الميضأت المجاورة أو الأسبلة، وخاصة كما أشرنا أنها أقيمت لغرض التدريس والصلاة في وقت واحد.

---

[١] **أحمد فهمي خليفة:** دليل المسجد الأقصى ــ قسم المصاطب ــ نسخة الكترونية.

[٢] **الأسبلة:** حظي المسجد الأقصى بالعديد من الأسبلة، وقد بلغ عدد الآبار الموجودة في ساحة الحرم الشريف والتي تعود في تاريخها للفترات الإسلامية المبكرة، خمس وعشرون بئراً عذبة: ثمان منها في صحن الصخرة المشرفة وسبع عشرة في ساحة المسجد الأقصى. وفي الفترة الأيوبية تم إنشاء عدد من السقايات، والصهاريج، نذكر منها سقاية الملك العادل أبو بكر محمد بن أيوب، الواقعة بباب المطهرة والتي تم إنشاؤها سنة ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م. وصهريج الملك المعظم عيسى الواقع في الطرف الغربي أسفل صحن الصخرة والذي تم إنشاؤه سنة ٦٠٧هـ/ ١٢١٠م، وقد ظهرت كلمة "سبيل" بمعنى عين المياه وما لحقها من مصطلح معماري في الفترة المملوكية والتي تبلورت عن فكرة عمل الخير كصدقة جارية، وحيث أن تيسير الماء للناس يعتبر من الأعمال الخيرية، فقد استمرت ظاهرة إنشاء الأسبلة في الفترة العثمانية، والتي امتازت بطابع معماري خاص ومميز، هذا ويقوم في ساحة الحرم الشريف تسعة من الأسبلة التي تعود في تاريخ إنشائها للفترات الإسلامية الأيوبية والمملوكية والعثمانية. وقد تركزت في الجهتين الغربية والشمالية للحرم الشريف، ومن أهم الأسبلة التي أُنشئت في العصر المملوكي سبيل البصيري، وقد تم تجديده في عهد السلطان الملك الأشرف برسباي سنة ٨٣٩هـ/ ١٤٣٦م، بإشراف نائب السلطنة الشريفة وناظر الحرمين الشريفين، وذلك حسب ما ورد في النقش التذكاري الموجود في لوحتين في الزاويتين الشرقية والغربية أعلى الجدار الجنوبي للسبيل والذي جاء فيه ما نصه: في اللوحة الشرقية: "بسم الله الرحمن الرحيم جدد هذا البئر/ في أيام مولانا السلطان الملك/ الأشرف برسباي وذلك بنظر المقر الحسامي/ حسن قجا نائب السلطنة الشريفة وناظر الحرمين/ الشريفين أعز الله أنصاره/".

دليل المسجد الأقصى: الموقع السابق بتصرف.

هذه هي المدارس التي كانت في داخل المسجد الأقصى وعلى حدوده وأروقته، وقد أُنشأ بعضها قبل العصر المملوكي الأول والثاني، وأُنشأ الآخر خلال العصر المملوكي، وعلى وجه الدقة في القرن التاسع الهجري ــ الخامس عشر الميلادي ــ، ولم تكن هذه المدارس وحدها التي ساهمت في إذكاء الحركة العلمية خلال القرن التاسع مع المسجد الأقصى، بل إنه كان في القدس جملة من المدارس التي كانت تقع خارج نطاق المسجد الأقصى وقريبة منه أو كونها كائنة في أحد خطط ودروب مدينة القدس، وهي المدينة التي عرفت بصغر حجمها وأنها متلاصقة البناء، كما أشار إلى ذلك مجير الدين العليمي والذي كان شاهد عيان على ذلك العصر، وقد أسهمت هذه المدارس مع ما كان بداخل المسجد الأقصى المبارك في الحركة العلمية خلال القرن التاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي، وهي كما ذكرها العليمي وغيره وكما هي مبينة في دليل المسجد الأقصى كالتالي:

المدارس خارج نطاق المسجد الأقصى:

المدرسة البدرية، وهي تقع في حي الواد وعلى مقربة من ضريح القرمي، بناها ووقفها بدر الدين محمد بن أبي القاسم الهكاري، أحد أمراء الملك المعظم عيسى عام ٦١٠هـ/ ١٢١٣م، وهي من الآثار الأيوبية في مدينة القدس[١].

المدرسة الوجيهية، وتقع هذه المدرسة بخط درج المولى عند باب الغوانمة، وقفها الشيخ وجيه الدين محمد بن عثمان بن أسعد النجا الحنبلي المتوفى عام ٧٠١هـ/ ١٣٠١م [٢].

---

[١] **مجير الدين:** المصدر السابق، جـ٢، ص ٤٢.
عارف العارف: المصدر السابق، ص ٨٤.

[٢] **مجير الدين العليمي:** المصدر السابق، جـ٢، ص ٤٢.
عارف العارف: المرجع السابق، ص ٩٠.

المدرسة الجالقية، وتبعد هذه المدرسة عن المسجد الأقصى المبارك حوالي مئتي متر، وعلى الغرب منه عند ملتقى طريق باب السلسلة بطريق الواد، وقد أنشأها الأمير ركن الدين بيبرس الجالق الصالحي عام ٧٠٧هـ/ ١٣٠٧م [١].

المدرسة التشتمرية، وهي بالقرب من باب الناظر على مقربة من المدرسة الحسينية، وقفها الأمير تشتمر السيفي، من أمراء السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون، سنة ٧٥٩هـ/ ١٣٨٢م [٢].

المدرسة الطُشتمرية، وهي في الطريق إلى باب السلسلة، بناها ووقفها الأمير طشتمر العلائي [٣] سنة٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م[٤].

المدرسة البلدية، وهي إلى الشمال من باب السكينة وكانت تعرف قديمًا باسم الأمير منكلي نسبة إلى واقفها الأمير سيف الدين منكلي الأحمدي[٥]، وقد توفى الأمير ودفن بها عام ٧٨٢هـ/١٣٨٠م.

دار القرآن السلامية، وهي تجاه دار الحديث على طريق باب السلسلة وقفها سراج الدين عمر بن أبي بكر أبي القاسم السلامي سنة ٧٦١هـ/ ١٣٥٩م [٦].

---

[١] **عارف العارف:** المرجع السابق، ص ٩٠.

[٢] **مجير الدين العليمي:** المصدر السابق، جـ٢، ص .

عارف العارف: المرجع السابق، ص ٩٣.

[٣] **طشتمر العلائي:** بن عبد الله الدوادار الأمير سيف الدين كان من أجل العلماء وأعظمهم، تنقل في عدة وظائف جليلة، ولي الدوادارية الكبرى بمصر إلى أن نقل إلى نيابة دمشق وباشرها مدة، كان محبًا لأهل العلم والخير والصلاح، كثير الاجتماع بالعلماء والفضلاء، **ابن تغري بردي:** المصدر السابق، جـ٦، ص ٣٩٦.

[٤] **العليمي:** المصدر السابق، جـ٢، ص ٤٥.

عارف العارف: المرجع السابق، ص ٩٣.

[٥] **العليمي:** المصدر السابق، جـ٢، ص ٤٢.

[٦] **العليمي:** المصدر السابق، جـ٢، ص ٤٥.

عارف العارف: المرجع السابق، ص٩٤.

المدرسة المحدثية، وهي على مقربة من الوجيهية بباب الغوانمة وقد وقفها عز الدين أبو محمد عبد العزيز العجمي الأردبيلي عام ٧٦٢هـ/ ١٣٦٠م،

و**المدرسة الحسنية**، وهي على باب الأسباط، وواقفها شاهين الحسني الطواشي في عهد السلطان الناصر حسن المتوفى سنة ٧٦٢هـ/١٣٦٠م، غير أن هذه المدرسة آل أمرها إلى بعض نصارى القدس[١]، وهذا أمر مخالف لأوقاف المسلمين، ولكن الأحداث السياسية التي مرت بها القدس عبر العصور قد يكون لها دخل في ذلك الأمر بأن تصبح مدرسة أنشأت بأوقاف إسلامية لتدريس العلوم الشرعية، ثم تؤل إلى أيدي نصارى القدس ولم نتحقق من الفترة التي آلت فيها إلى هؤلاء القوم من النصارى فل تفد المصادر بأي معلومات عن ذلك غير ما أشار إليه العليمي.

المدرسة الطازية، وهي في طريق باب السلسلة من الشمال تجاه تربة بركة خان، ومؤسسها الأمير طاز من مماليك السلطان الناصر محمد، وقد امتازت هذه المدرسة لأنه كان يقوم بالتدريس فيها العديد من النابغين من العلماء المقدسيين[٢].

المدرسة البارودية، وهي بباب الناظر بالقرب من التشتمرية وقد أوقفتها الست سفري خاتون بنت شرف الدين أبي بكر من محمود المعروف بالبارودي، ونسبت إليه عام ٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م [٣].

---

[١] **العليمي**: المصدر السابق، جـ٢، ص٤٢. **عارف العارف**: المرجع السابق، ص ٩٤.

[٢] **العليمي**: جـ٢، ص ٤٥.

عارف العارف: المرجع السابق، ص ٩٤.

[٣] **العليمي**: المصدر السابق، جـ٢، ص ٤٢.

المدرسة الحنبلية، وهي بباب الحديد وأوقفها الأمير بيدمر نائب الشام عام ٧٨١هـ/ ١٣٧٩م، **المدرسة اللؤلؤية**، وهي بخط مرزبان بجوار حمام علاء الدين الأباصيري وقد وقفها الأمير لؤلؤ غازي عتيق الملك الأشرف شعبان بن حسين سنة ٧٨١هـ/ ١٣٧٩م [١].

وفي العهد المملوكي الثاني برزت عدة مدارس خارج نطاق المسجد الأقصى المبارك بالقدس الشريف، ومنها **المدرسة الجهاركسية**، وهي بجوار الزاوية اليوسفية إلى الشمال، وقفها الأمير جهاركس الخليلي أمير آخور الملك الظاهر برقوق[٢].

المدرسة الحسنية، وهي بباب الناظر غرب المسجد الأقصى فوق رباط علاء الدين البصيري، وقفها الأمير حسن الكشكيلي، ناظر الحرمين ونائب السلطنة في القدس سنة ٨٣٧هـ/ ١٤٣٣م [٣].

المدرسة المزهرية، وهي بباب الحديد تجاه المدرسة الجوهرية، وقفها الزيني أبو بكر بن مزهر الأنصاري عام ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م، **المدرسة الزمينية**، وهي غرب الأقصى فوق الإيوان الذي بباب القطانين، أنشأها الخودجكي الشمسي بن الزمردخان عام ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م[٤].

المدرسة الفنرية، وهي مقابل الطولونية من جهة الشرق، ومدخلها من جهة السلم الواصل إلى مئذنة باب الأسباط، وقد أنشأها شهاب الدين الطولوني مع مدرسته، وجعلها للسلطان الظاهر برقوق، فلما

---

[١] **مجير الدين العليمي:** المصدر السابق، جـ٢، ص ٤٢.
عارف العارف: المرجع السابق، ص ٩٥.

[٢] **العليمي:** المصدر السابق، جـ ٢، ص ٤٢.
عارف العارف: نفس المرجع والصفحة

[٣] **العليمي:** المرجع السابق، جـ٢، ص ٤٢.

[٤] **العليمي:** المصدر السابق، جـ٢، ص٣٧.

توفى آل أمرها لولده السلطان الناصر فرج بن برقوق، فأوقف لها قرى ورتب نظامها، وعندما توفت أخته خوند سارة زوجة الأمير نوروز نائب الشام دفنت بها، غير أن المدرسة لم يكن لها كتاب وقف ثابت، فاشتراها بعد مقتل الناصر فرج رجل من الروم يقال له محمد شاه بن الفنري القردمي فوقفها ونسبت إليه، ويذكر مجير الدين أن ابن طولون هو الذي باعها إلى هذا الرجل الرومي [١].

وقد أدت هذه المدارس دورها العلمي بجدارة طوال العصر المملوكي الثاني بجوار المدارس التي بالأقصى، ولعلنا لا نخرج عن نطاق القرن التاسع الهجري وخطة البحث إن ذكرنا موضوع دراسة أثرية حديثة نشرت بموقع بيت المقدس، غير أنها تخدم الهدف الرئيس للبحث، فتشير إلى إحصاء لمدارس القدس والتي أنشأت من عام٥٨٦هـ/ ١١٩٠م وحتى٨٧٥هـ/ ١٤٧٠م، حيث بين الباحث فيها اسم المدرسة ومؤسسها وتاريخ التأسيس والموقع بالنسبة لساحة الحرم الشريف، مع التعريف بوضعها الحالي ومن يشغلها من قاطنيها، والمهن التي تزاول فيها، وأكد على أن بعض منها مازال يؤدي مهمته التعليمية إلى وقتنا الحالي[٢].

---

[١] **مجير الدين:** المصدر السابق، جـ ٢، ص ٤٠.

[٢] جاءت هذه الدراسة الأثرية بطريقة إحصائية قام فيها الباحث بحصر المدارس الأثرية والتي والتي مازالت قائمة، أو بعض من آثارها الدالة عليها، وأشار إلى أن بعض هذه المدارس مازالت العملية التعليمية تؤدى فيها إلى الآن مثل المدرسة الدوادارية والتي بها مدرسة تسمى البكرية وهي للطلاب من الذكور، والمدرسة الجاولية والمدرسة النصيبية وتشغلهما الكلية العمرية حاليا، أما المدرسة الأشرفية والتي تعد درة من درر الأقصى، فتشغلها مدرسة للبنات، أما بقية المدارس فأغلبها تشغلها عائلات مقدسية معروفة، وما يقض المضجع أن المدرسة الصلاحية قد حولت إلى كنيسة ومدرسة لاهوتية، والمدرسة التنكزية والتي أنشأها الأمير تنكز الناصري أمير الشام بها الآن مخفر شرطة للصهاينة.

واتخذت الخنقاوات التي وجدت في القدس الشريف نوعا من الأهمية العلمية، فقد كان يرتب فيها دروس للصوفية، وإن كانت لم تتوفر كمنشآت علمية بكثرة غير أن السلاطين المماليك قد أوجدوها في نطاق مدينة القدس الشريف، وبالبحث لم نجد إلا القليل منها مثل:

الخانقاة الفخرية، وهي مجاورة لجامع المغاربة على بعد مائتي متر من المسجد الأقصى إلى الغرب، وأوقفها المقر العالي القاضي فخر الدين أبو عبد الله محمد بن فضل الله ناظر الجيوش السلطانية عام ٧٣٢هـ/١٣٣١م [١].

هذا وقد ذكر مجير الدين بعض الزوايا والأربطة والتي أدرجها في جملة المدارس التي ذكرها في داخل المسجد الأقصى وظاهره، فقط أردت التنويه عنها باعتبار أنها كانت تقام بها بعض الدروس ولا تتخذ للتدريس بالشكل الكامل.

ولعلنا بالتدقيق في الأنس الجليل نجد أن مجير الدين قد أحصى في المدينة المقدسة أكثر من ستين مؤسسة علمية ما بين مدارس وجوامع وزوايا وخنقاوات، هذا فضلاً عن مكاتب تعليم الصغار، وبهذا تكون المدينة قد حوت ما يزيد على المئة مدرسة، فضلاً عن خمسة وثلاثين مسجدًا بخلاف المسجد الأقصى، وجل هذا قد عُمرَ بعد الفتح الصلاحي للقدس عام ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م، فقد غدت المدينة من بعده قبلة لمريدي العلم وطلابه وتطاولت منزلتها العلمية بما يحمله الناس في قلوبهم لها من مكانة دينية وثقافية كبيرة، وبارتحال طلاب العلم إليها في تلك الفترة من

وائل عبده السجدي: المدارس الأثرية في بيت المقدس.
http://www.jerusalemites.org/history_of_palestine/jerusalem_shools.htm

[١] **مجير الدين العليمي**: المصدر السابق، جـ٢، ص ٣٤.

مشارق الأرض ومغاربها، ولهذا تكونت بها جالية كبيرة من المغاربة[١]، وهؤلاء الطلاب هم من حملوا مشعل العلم والثقافة في المدينة، ولذا فقد تسابق سلاطين الأيوبيين والمماليك في إقامة المؤسسات العلمية لخدمة طلبة العلم من المجاورين والمقيمين الوافدين على القدس الشريف، ولعل الصورة التي رسمها العماد الأصفهاني للحركة العلمية في بيت المقدس تؤكد بقوة على مدى ما وصلت إليه القدس من الازدهار الثقافي والفكري والعلمي عندما قال ــ رحمه الله ــ "ما ترى ــ أي بالقدس ــ إلا قارئًا باللسان الفصيح، وراويًا للكتاب الصحيح، أو متكلمًا في مسألة" [٢].

وإن كانت بيت المقدس في العصر الأيوبي قد بدأت تتشكل أهميتها العلمية بوفود العديد من طلبة العلم إليها، فقد غدت في العصر المملوكي بدولتيه مرسى لكثير من العلماء الكبار الذين كانوا يشكلون قيمة الحياة العلمية، وخاصة في العصر المملوكي الثاني، ونَهِلَ هؤلاء العلماء من مجالس العلم بها ودرسوا ودرَّسوا في مدارسها ومساجدها، ونذكر منهم على سبيل المثال الإمام الحافظ شمس الدين الذهبي المتوفى عام ٧٨٤هـ/ ١٣٤٧م، وشهاب الدين ابن حجر فقيه الشام ٨١٦هـ/ ١٤١٣م [٣]، وبتصفح كتب تراجم القرن الثامن والتاسع من أمثال الدرر الكامنة أو الضوء اللامع، وأيضًا كتاب شذرات الذهب للعماد الحنبلي نجد العديد من علماء العصر قد زاروا بيت المقدس منهم البدر العيني، وابن حجر العسقلاني، وابن خلدون، والمقريزي والإمام السخاوي الذي جاور بمكة المكرمة، المدينة المنورة، والقدس الشريف، وقد أشار إلى ذلك بنفسه عند

---

[١] **علي السيد علي:** المرجع السابق، ص ٧٧.

[٢] **الفتح القسي للفتح القدسي:** ص ١٥١.

[٣] **علي السيد علي:** المرجع السابق، ص ١٢٣.

رحلته من مصر إلى حلب عندما زار بيت المقدس والخليل ونابلس وأخذ عن علمائها، وممن أخذ عنهم من أهل بيت المقدس أبو العباس أحمد بن العماد ابن العز المقدسي [١].

ومن نافلة القول أن نذكر أن الطابع الديني الذي غلب على المؤسسات العلمية لبيت المقدس، قد جعل للعلوم الدينية فيها الحظوة الكبرى عند مريديها، هذا فضلاً عن قدسية المدينة والأقصى وهما في المقام الأول، فنجد أن غالبية طلبة العلم كانت تسعى لتلقي العلوم الشرعية في المدينة، مثل الفقه ومذاهبه الأربعة والتي أفرد لهم مجير الدين العليمي جزئية كبيرة من مصنفه، ووقف مع تراجم الفقهاء الشافعية وكانوا أكثر الفقهاء لشيوع المذهب الشافعي منذ الفتح الصلاحي للقدس وحتى نهاية الدولة المملوكية الثانية، وقد بلغ عدد من ترجم لهم من فقهاء الشافعية، ما ينيف على الثلاث مئة من الفقهاء، أما فقهاء الحنفية وهو المذهب الثاني بالنسبة للانتشار ــ وهو مذهب سلاطين المماليك آنذاك ــ فقد أتى على ذكر ما يقرب من السبعين فقيهًا، وكانت أقل المذاهب انتشارًا في القدس على عهد العليمي مذهبي الحنابلة والمالكية فترجم لما ينيف على ثلاثين فقيهًا مالكيًا، وأربع عشر فقيهًا حنبليًا [٢].

وقد أنشأ بعض علماء هذه المذاهب المدارس لدروس الفقه منهم وجيه الدين محمد بن عثمان بن أسعد بن نجا الحنبلي، والذي أنشأ المدرسة الوجيهية والتي تقع بخط درج المولى، ومثل الأمير زين الدين

---

[١] **السخاوي:** الضوء اللامع، م٨، ص٧.

[٢] **علي السيد علي:** المرجع السابع، ص ١٣٧.

عبد الباسط بن خليل ناظر الجيوش المنصورة، عندما أنشأ المدرسة الباسطية عام ٨٣٤هـ/ ١٤٣٠م [١].

وكطبيعة العصر المملوكي والذي انتشر فيه التصوف والمتصوفة إلى درجة كبيرة بعصريه البحري والبرجي، وتعلق الناس بمذهب التصوف في أنحاء السلطنة المملوكية وأصبح لهذا المذهب مريديه الذين نبغ منهم العديد من أبناء القدس، وقد شجع على انتشار هذا المذهب عناية السلاطين المماليك بمشايخ الصوفية والتودد إليهم، ومن أمثال هؤلاء السلاطين السلطان الظاهر بيبرس والسلطان برقوق، وأدى انتشار العمارة الصوفية من الربط والخنقاوات في العصر المملوكي وبعد أن اختفت مهمتها ووظيفتها التي أنشأت من أجلها في بداية الدولة الإسلامية للمرابطة والجهاد على حدود الدولة الإسلامية لتصبح في العصر المملوكي وما تلاه من العصور دور عبادة ومراكز إيواء للعجزة والمحتاجين، والمتصوفة وغيرهم [٢]، وهذا ما وضح من صورة تلك المنشآت في عصر الدولة المملوكية وخاصة خانقاة سعيد السعداء وخانقاة سرياقوس، والتي أنشأها السلطان الناصر محمد بن قلاوون، ومن علماء الصوفية البارزين في العصر المملوكي شهاب الدين أحمد بن سلامة المقدسي المتوفى عام ٧٦٩هـ/١٣٦٧م، وكان قد انتقل إلى القاهرة وولي فيها الوظائف، يذكر عنه الحافظ ابن حجر "أنه كان شيخاً وخطيبًا بالجامع كلاهما لبشتك وكان عليه قبول في وعظه، ثم تعصب عليه بعضهم فخرجت عنه الخانقاة فعوضه الله خانقاة سرياقوس يباشرها إلى أن مات

---

[١] **العليمي:** المصدر السابق، جـ٢، ص ٣٨ – ٤٢.

[٢] **سعاد ماهر:** العمارة الإسلامية، جـ٢، ص ص ٣٨ ، ٤٢.

٧٦٩هـ/١٣٦٧م وصنف كتابًا في الصوفية"[١]، ومنهم أيضًا الشيخ برهان الدين بن غانم شيخ الخانقاة الصلاحية، وهو الذي أنشأ مئذنة (منارة) على الخانقاة الصلاحية قبل عام ٨٠٢ هـ/١٣٩٩م، وقد غضب النصارى حين أراد بناء المنارة على الخانقاة باعتبارها على كنيسة القيامة، فأرادوا دفع مال له نظير التراجع عن بنائها غير أنه رفض وأكمل بناء المنارة [٢].

ومن الصوفية كذلك شيخ المغاربة في بيت المقدس خليفة بن سعود بن موسى المغربي الجابري المالكي وقد نزل ببيت المقدس وعاش فيه دهرًا وتولى مشيخة المغاربة، وكان يقرأ كلام ابن عربي ويقوم بتأويله، غير أن الكمال بن أبي شريف كما يذكر السخاوي قال: أنه لا يعتقد ما ينسب لابن عربي وإنما كان يؤول كلامه غلطًا، والغلط لا يخرج الإنسان عن الصلاح، فكان معروف بالصلاح والتعبد والفضل، وممن ذكره السخاوي أيضًا منعوتًا بالصوفي محمد بن أحمد بن ميز الشمسي المقدسي الصوفي، وكان تاجرًا توفى عام ٨٩٦هـ/ ١٤٩١م بالرملة وهو عائد بتجارة له من دمشق، فحمل إلى بيت المقدس وصلى عليه في الأقصى المبارك ودفن بماملا[٣]، وهي من المدافن الرئيسة بالقدس، وقد

---

[١] **الدرر الكامنة:** جـ١، ص ٨٥.

[٢] **مجير الدين العليمي:** المصدر السابق، جـ٢، ص ٤٩.

[٣] **ماملا:** مقبرة مأمن الله "ماملا" معلم أثري إسلامي في بيت المقدس. وهذه المقبرة من أهم مقابر المسلمين في بيت المقدس "و يظهر أنها أنشئت بعد الفتح الصلاحي، وكانت لها أفضلية عند أهل القدس، وربما عاد ذلك مما انتشر بينهم، ولصق باعتقادهم، إضافة إلى حرمتها كمقبرة، فإن وجودها في بلاد مقدسة، أرض المحشر والمنشر، ومجيء الأخبار بأن "من دفن في بيت المقدس في زيتون الملة، فكأنما دفن في سماء الدنيا" و "إنها روضة من رياض الجنة" يعتبر من نافلة القول في مجال حرمتها." فمكانتها كمقبرة، تضفي عليها أهمية حرمتها، ومن ثم تأتي أهميتها في كون عدد كبير ممن

سمع على الجمال بن جماعة، وكان كثير العبادة ملازمًا للجماعة بالأقصى المبارك، ومن الصوفية المقدسيين كذلك محمد بن إبراهيم بن عبد الله الشمسي، مال إلى التصوف بكليته وصحب الصالحين، ولازم الشيخ محمد القرمي ببيت المقدس، وكان مقبلاً على الزهد ولا يضع جنبه بليل بل دائم الصلاة، ولديه علم من الفقه الشافعي والتصوف وله من النظم في ذلك

ولم يزل الطامع فـــي ذلـــة قد شبهت عندي بذل الكـــلاب
وليس يمتاز علـــيهم ســـوى بوجهه الكـــالح ثـــم الثيـــاب

وكان قليل الأكل والكلام مات بمكة عام ٨١١هـ/١٤٠٨م [١].

أهمية المنشآت العلمية.

وبما أن القدس الشريف يعد من أهم مراكز العطاء الفكري المتميز في الحياة الفكرية وركيزة أساسية من ركائز الحركة العلمية في القرن التاسع الهجري، فلابد أن نتعرض هنا للحديث عما كانت عليه الحركة التعليمية في هذه المنشآت وكيفية التدريس ونظام الدراسة، هذا فضلا عما تحتوي عليه المنشآت العلمية في القدس الشريف من مقومات

نزلوا ثراها لهم أثرهم الفعال، وأهميتهم في خدمة الدين والعلم والمجتمع .ومن هنا، فلا غرابة أن يقول مجير الدين "وفيها خلق من الأعيان والعلماء والصالحين والشهداء" وأن يكرر قوله النابلسي "وفيها مدفن الأعيان من الأمراء" ويقول القيمي "وإنها مدفن الخلاصة من الأبرار الوارد في فضلها الأخبار والآثار" وأن يقول العارف "فإنها بلا مراء أقدم مقابر القدس عهداً وأوسعها حجماً، وأكثرها شهرة" ثم يقول "ولقد كانت ولا تزال في أيدي المسلمين منذ قرون يجلونها أجلال منقطع النظير. ذلك لأنها تعج بالعدد الوفير من الصحابة والمجاهدين والعلماء والأقطاب الصالحين" **موقع مؤسسة القدس الدولية:** مدينة القدس.

http://www.alquds-online.org/index.php?s=13&id=731

[١] **السخاوي:** الضوء اللامع، مجلد ٢، جـــ٣، ص ٩٧، م٤، جـــ٧، ص ١٠٠، م٣، جـــ٦، ص ص ٢٣١ ، ٢٣٢.

ساعدت بشكل بارز في ازدهار الحركة العلمية بالقدس في العصر المملوكي الثاني.

ضمت المنشآت العلمية أهم عضو في المنظومة التعليمية آنذاك وهم الطلاب، وقد كان لمدارس القدس كغيرها من مدارس العصر المملوكي أهمية خاصة في نظام التعليم المتبع آنذاك، حيث كان ذلك ينسحب على مدارس القاهرة ودمشق وغيرها من المراكز العلمية في دولة المماليك خلال القرن التاسع الهجري، حيث مُلئت المدارس في تلك المدن بطالبي العلم نتيجة لإقبال طلاب العلم على التعلم لعدة اعتبارات منها، الرغبة في تحصيل العلم الشرعي والذي كان منتشرا في ذلك الوقت، وازدهار الحركة العلمية في العصر المملوكي الثاني وازدياد عدد العلماء واشتهار مؤلفاتهم في تلك المدارس والرغبة من طالبي العلم التعلم على أيدي هؤلاء العلماء، هذا فضلا عن مجانية التعليم في تلك الفترة والحث عليه من جانب الإدارة المملوكية، بل وتخصيص رواتب شهرية لهؤلاء الطلاب لتشجيعهم على تلقي العلم[١].

ولا يفوتنا في هذا المقام الرجوع إلى كتاب العالم الجليل بدر الدين بن جماعة ت٧٣٣هـ/١٣٣٣م[٢]، والذي درس في مدارس القدس

---

[١] **طالب عبد الفتاح الصوايفي:** الأوضاع الحضارية في القدس من صلح الرملة حتى خروج الصليبيين من فلسطين (١١٩٢ـ١٢٩١م/٥٨٨ـ٦٩١هـ)، ص٢٩١، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية ٢٠٠٩م.

[٢] **بدر الدين بن جماعة:** هو محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة، ينتهي نسبه لقبيلة كنانة العربية، ولد بحماة سنة ٦٣٩هـ/ ١٢٤٢م، درس على العديد من علماء عصره وأجازه العديد منهم، وتفقه ومهر في الفنون ودرس بالقيمرية بدمشق، ثم ولي قضاء القدس سنة ٦٨٧هـ، ونقل بعدها إلى قضاء الديار المصرية عام ٦٩٠هـ، وقد باشر وظيفة قاضي القضاة بمصر أكثر من مرة في عهد الأشرف خليل، والناصر محمد بن قلاوون، تولى التدريس في العديد من المدارس بدمشق والقدس والقاهرة، وقد علا صيته وحسنت سيرته

وصنف لنا في "كتابه تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم" [1]. حيث نستقي منه مادة هامة لما يدور في حلقات العلم آنذاك ما بين الأستاذ والطالب، فقد أشار إلى الأساليب التي كانت متبعة في العصر المملوكي، حيث تلقى الدروس في حلقات يجلس منها المعلم في مكان بارز حتى يتسنى للطلاب رؤيته بوضوح، واعتمد في تلك الحلقات ثلاث طرق للتدريس، التلقين، والإلقاء، والإملاء، وكانت الطريقة الأولى أمثل في حفظ القرآن الكريم، واتبعوا الثانية في تدريس علوم القرآن والحديث والفقه، وتأتي الطريقة الأخيرة وهي الإملاء إذا أراد المعلم من تلاميذه فهم وحفظ موضوع ما فيقوم بإملائه عليهم لتقيده بالكتابة. وقد دأب هؤلاء المعلمين في القدس على بعد انتهاء الدروس الانتظار مليا حتى يخرج

وطالت مدته، وكان متقشفا مقتصدا، ومن شدة ورعه لما ولي التدريس في الكاملية رأى في كتاب الوقف في شرط الطلبة المبيت، فجمع ما كان أخذه وهو طالب وأعاده للوقف؛ لأنه كان لا يبيت، توفي رحمه الله عام ٧٣٣هـ ودفن بالقرافة بجوار الشافعي عن عمر ناهز التسعين بأربع سنوات.

ابن حجر العسقلاني: الدرر، جـ٣، ص١٧١.

[1] جاء كتاب تذكرة السامع والمتكلم لابن جماعة، موضحا لأهم آداب الأخلاقيات المهنية التي يجب أن يكون عليها المعلم، فجاءت فصوله موزعة بين فضل العلم والعلماء والتعلم، وآداب العالم مع نفسه وفي درسه، ومع طلبة العلم في حلقته، وآدابه مع كتبه وما يتعلق بها، ووضح لنا آداب سكنى المدارس للمنتهي وللطالب، وهذا الكتاب يعد في ذاته منهج تربوي أصيل يحاول محاكاته اليوم في زماننا علماء التربية، حيث قدم لنا فيه ابن جماعة صورة مثلى من حيث النظرية لما يجب أن يكون عليه العالم ومجالس العلم وطلابه، ولم يكن في ذلك العصر التطبيق بعيدا عن النظرية، ولعل ابن جماعة بهذا الوصف الدقيق لمجالس العلم، كان يبين لنا صورة محسوسة لما كانت عليه حلقات العلم في ذلك العهد الذي عاشه ابن جماعة وأدلى فيه بدلوه هو ومن تبعه من بني عائلته، والتي اشتهر صيتها في التدريس بالقدس والأقصى في القرنين الثامن والتاسع الميلادين.

الطلبة ولا يزاحمه الطلبة في الخروج، ويعطي فرصة كذلك لمن استشكل عليه فهم شئ من الدرس ويريد من المعلم تفسيره [١].

أما كيفية التدريس في تلك المدارس، فكان يعتمد على عدة أركان مهمة، أساسها المعلم (المدرس) وكما مر يكون من الفقهاء أو بالأحرى ممسكا بزمام عدة علوم، وهذه كانت سمة علماء ذلك العصر، بأن يكون فقيها ومحدثا وعالما بالأصول والقراءات إلى آخره، وعليه قوام العملية التعليمية، ثم المعيد وعليه إعادة وإفهام الطلبة الدرس الملقى عليهم من الفقيه، وهذا العمل يستلزم منه قدر زائد من العمل لما يقتضيه من لفظ الإعادة، وإلا فتكون مهمته ومهمة الفقيه سواء، وللطلبة حق مراجعته فيما لم يستوعبوه من الفقيه، فلابد وأن يكون ملما بمادته العلمية إلماما تاما، ومن أركان الحركة العلمية كذلك كل من المفيد والمنتهي من الفقهاء، وهذان يعد دورهما أكبر نسبيا عن دور من أطلق عليهم السبكي فقهاء المدرسة، وهم الطلاب، فإنهما يقومان بما يعتمد من الدرس والإعادة، وعليهما البحث والمناظرة لكونهما في مرحلة متقدمة عن فقهاء المدرسة، الذين يجب عليهم المواظبة والالتزام بالإنصات والفهم وعدم اللغو، ومذاكرة القرآن وما يلقى عليهم من علوم ولا يقوموا بأفعال تلهيهم عن متابعة الدرس، وربما وجد في تلك المدارس ما يراد به ضبط العملية التعليمية، فيكون هناك نائب غيبة على الفقهاء، وعليه أن يكتب ويسجل كل من حضر أو لم يحضر، وعليه أن يتقي الله سبحانه في هذا العمل لكي لا يظلم من تغيب بعذر وبينة [٢].

---

[١] **تذكرة السامع في أدب العالم والمتعلم**، ص٥٤، تحقيق هاشم العدوي، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٩٨٢م

[٢] **معيد النعم**، ص١٠٨,١٠٩.

ومن أهم ما لا يمكن غض الطرف عنه في إذكاء الحراك العلمي في القدس خلال القرن التاسع الهجري، ما كان مصطلحا عليه آنذاك بخزائن الكتب (المكتبات) سواء العامة أو الخاصة، فقد تسابق السلاطين والأمراء، والحكام والوجهاء في إنشاء خزانات للكتب تحمل اسمهم أو اسم المكان الذي أنشأت فيه، فشيدوا هذه الخزائن ودور الكتب وأوقفوا وحبَّسوا الكتب عليها. واهتموا بوجهٍ خاص بالبقاع الطاهرة والأراضي المقدسة فأوقفوا على الحرمين الشريفين وثالث المسجدين – المسجد الأقصى ــ كتبا مهمة بقيت وما زالت مصدراً مهمّاً ونبعاً صافياً ينهل منه الناس معارفهم، وأصبح العلماء والأدباء والفقهاء يهدون مثل هذه الخزائن أهم كتبهم، وكانت دواوين الإسلام وكتب الشريعة تُنسخ وتُهدى لمثل هذه الخزائن. ولقد ظهرت في القدس عدّة خزائن ومكتبات عامة أنشأها سلاطين وأمراء المماليك وأوقفوا وحبسوا عليها نفائس الكتب والمخطوطات وروائع المصنفات والمؤلفات[1].

ولم يكن بالقدس مسجد ولا مدرسة ولا خانقاة إلا وبها خزانة للكتب تحوي المصنفات العلمية التي كانت نتاج ذلك العصر الفكري والتي ذخرت بها مكتبات القدس، ومن أهم المكتبات التي يشار إليها بالبنان خزانة المسجد الأقصى المبارك، فقد كان المسجد الأقصى كغيره من المساجد الكبيرة في الأقطار الإسلامية مركزاً للحياة الفكرية ومدرسة لتدريس العلوم، سواءً العلوم الدينية أو العلوم الدنيوية، ولا

[1] **محمد خالد كلاب:** المكتبات والخزائن الخاصة في فلسطين ودورها الثقافي والحضاري، موقع شبكة دهشة
http://www.dahsha.com/viewarticle.php?id=33033

يمكن أن تنتعش الحياة العلمية والفكرية في رحاب المسجد دون وجود مكتبة تضم الكتب الأمهات ونفائس المخطوطات، ومن هنا بدأت البواكير الأولى لمكتبة المسجد الأقصى، وتطوّرت على مرّ العصور ابتداءً من الفتح الإسلامي للقدس حتى الفترة التي نحن بصدد بحثها، والتي احتوت على أمهات الكتب في الحديث والتفسير والفقه والتاريخ والحساب والميقات، هذا فضلاً عن علوم العربية إلى جانب العديد من مؤلفات مشايخ الأقصى على مر العصور[١]، وخزانة الأقصى من المعالم البارزة في بيت المقدس، فبعد تحريرها من الصليبين مباشرة وعلى العهد الصلاحي، بدأ تزويد خزانة المسجد الأقصى بالكتب، وكذلك تزويد المدارس والزوايا ولكن مكتبة المسجد الأقصى ظلت الأشهر والأغنى وهو تحوي ما يربو على الألف مخطوط من المصاحف والربعات، والكتب التي تعود إلى العصرين الأيوبي والمملوكي[٢]، وقد جاء في تقرير المركز الفلسطيني للإعلام أن خزانة الأقصى تحوي كتب متفرقة في الأدب والفقه والتفسير والحديث. ومن نفائسها، مخطوط كتاب " نشق الأزهار في عجائب الأقطار" للمؤرخ المصري ابن إياس من القرن التاسع للهجرة، ومخطوط " تلخيص المتشابه في الرسم وحماية ما أشكل منه عن بوادر التصحيف والوهم " لأبي بكر البغدادي من القرن الخامس للهجرة، ومخطوط " طبقات

---

[١] **سلامة محمد البلوي:** مكتبات بيت المقدس من الفتح الأيوبي إلى الاغتصاب الصهيوني، ص ٨.
حامد الشافعي دياب: مكتبة المسجد الأقصى المبارك ماضيها وحاضرها، مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية، موقع مدينة القدس، مؤسسة القدس الدولية.

[٢] **المركز الفلسطيني للإعلام:** المكتبات، إعداد نافذ أبو حسنة.،

http://www.palestine-info.info/arabic/index.shtml

الشافعية " لتقي الدين الدمشقي من القرن التاسع للهجرة، ومخطوط " كتاب الأقاليم " للإصطخري من القرن الرابع للهجرة، وتضم خزانة المسجد الأقصى أكثر من عشرة آلاف كتاب أكثرها مطبوع، وأن كانت هذه المعلومات تفيدنا عن حالة مكتبة الأقصى حاليا إلى أنها تعطي صورة واضحة عما كانت عليه خلال القرن التاسع الهجري، فقد جاء في حصر ما بها من مصادر وجود مصادر متنوعة من قرون شتى، وهذا يزيدها ثراءً وعطاءً للحياة العلمية [١]. وقد كانت خزائن الكتب في الحرم المقدسي الشريف موزعة بين المسجد الأقصى وقبة الصخرة، كان في كل منهما خزائن خاصة للكتب، ويدلنا على ذلك أنه كان لكل من المسجد الأقصى وقبة الصخرة خزنة للكتب أو أمناء خاصون. ويذكر السخاوي من هؤلاء شمس الدين محمد بن أحمد بن حبيب الغانمي المقدسي، الذي كان خازن الكتب في المسجد الأقصى في أواسط القرن التاسع الهجري[٢].

ومما لا شك فيه أن لصلاح الدين الأيوبي دور بارز في مد خزانة الأقصى بالعديد من المؤلفات التي نقلها إليها من دمشق، وذلك بعد أن رتب المسجد المبارك، فبفضله ازدادت القيمة العلمية بجانب القيمة الدينية للأقصى المبارك، وقد نحا نحو فعل صلاح الدين الأيوبي العديد من السلاطين المماليك الذين أوقفوا المصاحف على المسجد الأقصى

---

[١] **المركز الفلسطيني للإعلام:** المرجع السابق، http://www.palestine-info.info/arabic/index.shtml

[٢] **ربحي مصطفى عليان:** المكتبات في مدينة القدس، http://www.alukah.net/Culture/0/466/

ومسجد قبة الصخرة، فيذكر مجير الدين وقف السلطان الظاهر جقمق والأشرف إينال المصاحف على المسجد المبارك [١].

ومن أشهر خزائن الكتب في القدس بعد خزانة الأقصى المبارك خزانة المدرسة النصرية والتي أنشأها الشيخ نصر بن إبراهيم المقدسي في أواسط القرن الخامس الهجري، وقد عرفت باسم خزانة المدرسة الغزالية، لاعتكاف حجة الإسلام أبو حامد الغزالي بها وإكمال تصنيفه لكتابة إحياء علوم الدين[٢]، وخزانة الخانقاة الفخرية وهي من الخزانات الكبيرة للكتب في القدس الشريف وبها العديد من المخطوطات الدينية والفكرية وقدر عدد مجلداتها ما يقرب عن عشرة آلاف مجلد [٣].

تشير المصادر المختلفة وخاصة سجلات المحاكم الشرعية في القدس، أنه كان هناك الكثير من المكتبات الخاصة في المدينة المقدسة خلال الفترة المملوكية. ويبدو أن وجود الكتب والمخطوطات في بيوت العلماء والفقهاء وحتى العامة من الناس كان أمراً شائعاً في تلك الفترة، وقد أشارت المصادر المختلفة إلى أسماء عدد كبير من علماء القدس الذين كانت لهم مكتبات خاصة ومن هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر، مكتبة الشيخ

---

[١] **الأنس الجليل:** جـــ٢، ص ص ٩٦، ٩٧، ٩٨.
كامل العسلي: معاهد العلم في بيت المقدس، ص ٣٧٧.

[٢] **مجير الدين العليمي:** المصدر السابق، جـــ٢، ص ٣٤.
البلوي: المرجع السابق، ص ١٨.

[٣] **مجير الدين العليمي:** المصدر السابق، جـــ٢، ص ٣٤.
عارف العارف: المفصل في تاريخ القدس، ص ٤٥١.

برهان الدين بن جماعة خطيب المسجد الأقصى ومدرس المدرسة الصلاحية (٧٢٤هـ/١٣٢٤م-٧٩٠هـ/١٣٨٨م)، وكانت مكتبة نفيسة [١].

هذا وجاء في وقف السلطان الأشرف قايتباي على المدرسة الأشرفية أنه كان يوجد في الحائط الشمالي للمدرسة ثلاث خزائن للكتب كان يقوم عليها ثلاث مشرفين أطلق على أحدهم خادم الرقعة الشريفة، والآخر يدعى خادم المصحف، والثالث اسمه مفرق المصحف، وكان بها المصحف الذي أوقفه السلطان قايتباي على المدرسة [٢]، هذا ولم نجد مدرسة من مدارس القدس سواء التي كانت بالمسجد الأقصى أو مجاورة له إلا وبها خزائن للكتب ومنها المدرسة الأمينية التي خصص بها غرفة عرفت باسم الكتبية، والمدرسة الصلاحية، التي أوقفها صلاح الدين على تدريس المذهب الشافعي زودها بالكتب وظلت تؤدي دورها حتى الفترة محل البحث في القرن التاسع الهجري [٣].

ومن المدارس التي كان يتم فيها التدريس للمذاهب الأربعة المدرسة التنكزية مما كان له تأثير كبير في ثراء خزانة كتبها من

---

[١] **ربحي مصطفى عليان:** المكتبات في مدينة القدس، http://www.alukah.net/Culture/0/466/.

[٢] **كامل العسلي:** المرجع السابق، ص ١٦٥.

[٣] **العماد الأصفهاني، الفتح القسي:** ص ١٤٥.

كامل العسيلي: المرجع السابق، ص ٣٨٢.

صبيح عبد اللطيف النابلسي: القضاء والمراكز العلمية في بيت المقدس خلال القرون الستة الأولى من الهجرة، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا بغداد، العراق ٢٠٠١م ص ٢٨٦.

مصنفات المذاهب الأربعة، هذا فضلاً عن خزائن المدرسة القادرية، والمدرسة الجاولية وخزائن بعض الزوايا والمساجد[١].

ولا يفوتنا في هذا المقام التأكيد على أن سلاطين المماليك البرجية قد هيئوا المناخ العلمي للدارسين في هذه المدارس بالإنفاق وإيقاف الأوقاف عليها، فلا يخفى على الدارسين أن نظام الأوقاف الإسلامية كان العمود الفقري الذي تقوم عليه الحركة الإسلامية ليس في القدس وحدها بل في الكثير من حواضر الدولة المملوكية، وكان رصد هذه الأوقاف يتيح الحياة للمؤسسات التعليمية بالإنفاق عليها وعلى طلاب العلم والمدرسين بها وصيانتها وترميمها إذا احتاجت لهذه المقومات، ولم يقف الأمر على رصد الأوقاف من السلاطين والأمراء في الدولة بل كان أهل الخير من وجهاء القوم وميسوري الحال من الأهلين، وكان الملوك يرصدون الكتب والمصاحف على المدارس والمساجد في القدس الشريف وكأنهم كانوا يتبارون في عمل ذلك الأمر مما أوجد روح من التنافس بين هؤلاء السلاطين، فمنذ أن أوقف السلطان الأشرف برسباي على المسجد الأقصى المبارك مصحفًا كبيرًا أهدي إليه بدمشق، وتسابق السلاطين على وقف المصاحف على القدس الشريف والأقصى المبارك، فوقف السلطان الظاهر جقمق مصحفًا كبيرًا على مسجد قبة الصخرة الشريفة وعد مجير الدين ذلك من محاسنه، وجاء الأشرف إينال ونحا مثل هذا النحو[٢].

---

[١] **سعيد عاشور:** بعض أضواء جديدة على مدينة القدس في عصر سلاطين المماليك، المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام وفلسطين، مجلد ١، ص ١٠٠.

علي السيد علي: القدس في العصر المملوكي، ص ١٦٦.

وعن ربط القدس وزواياها ومدارسها، انظر **محمد كرد علي**، خطط الشام، جـ٦، ص ١٤٥: ١٥٠.

[٢] **الأنس الجليل:** ص ص ٩٦: ٩٨.

ومن الجدير بالإشارة أن شروط الواقف كانت تراعي تماما الحالة العامة للمؤسسة التعليمية، بما فيها المعلمين والطلاب، فقد تضمنت الوقفيات مخصصات مالية لصيانة المدارس وإعدادها للدراسة بصورة مناسبة، ودفع رواتب العاملين والتي عرفت الرواتب الهلالية، مع توفير المسكن والمأكل لهم، بل أحيانا كانت بعض الوقفيات تنص على علاج العاملين بهذه المدارس، كما تحدد شروط الدرس وموضوعاته وعدد الطلبة والمعلمين فضلا عن مكان وزمان أداء الدروس، وكان تلك الوقفيات تسمي المذهب الذي سيدرس في تلك المدارس فمنها ما يرصد لتدريس المذهب الشافعي، أو الحنفي، أو الحنبلي، أو المالكي، وقد وضح ذلك في رصدنا لمدارس وعلماء القدس، ويعيب السبكي على بعض المعلمين في تلك المدارس والتي لا يلتزم بشرط الواقف، فيقول:" ومن المهمات مدارس وقفها واقفوها على الفقهاء والمتفقه، والمدرس من الشافعية، أو الحنفية، أو المالكية، أو الحنابلة، فيلقي الدرس في هذه المدرسة تفسيرا، أو حديثا، أو نحوا، أو أصولا وغير ذلك، إما لقصوره عن الفقه أو لغرض آخر، وعندي أن الذمة لا تبرأ في المدرسة الموقوفة على الفقهاء إلا بإلقاء الفقه، فإن كان هذا المدرس لا يلقي الفقه رأسا فهو آكل حرام" [1]، وكان بعض الواقفين ينوع في أنواع الفنون والدروس التي تلقى في المدرسة مثل التفسير والحديث والأصول وغيرها، "وذلك بقصد التنويع على الطلبة وبعث عزائمهم"، فلا بأس آنذاك من أن تلقى تلك الدروس بجانب الدروس الفقهية، وعلى أن يكون شرط الواقف التنوع في الدرس، كما في مدارس كثيرة في ديار مصر وبلاد الشام وغيرها، حيث

[1] **معيد النعم ومبيد النقم:** ص١٠٧، تحقيق محمد على النجار وآخرون، مكتبة الخانجي، القاهرة د.ت.

يقفها واقفوها بهذه المواصفات، ويشترط هنا في المعلم أن يعرف العلوم التي يحددها الواقف كالتفسير والحديث وغيرهما [١].

ولم يقتصر اهتمام السلاطين وأمراء القدس على وقف ورصد الكتب والمصاحف بل سعوا لرعاية مصالح العباد في القدس الشريف، فمن المعروف أن في العصر المملوكي قد انتشر النظام الوقفي انتشارًا كبيرًا، وقد تعزز دورها في المجتمع وأصبح الأشراف عليها مسؤولية قائمة يتولاها جهاز الدولة، ولقد تعدت مصادر الأوقاف وأوجه الصرف منها حتى شملت جوانب كثيرة من المؤسسات التي تؤثر في الأوضاع العلمية والاجتماعية في المجتمعات المصرية والشامية والحجازية آنذاك، وهذا ما قام به السلاطين في القرن التاسع من إكثار الأنفاق وأوقاف البر التي تقف على المسجد الأقصى المبارك وسائر المؤسسات العلمية في القدس الشريف [٢].

ومما يسترعى انتباه الباحثين أنه من عهد الظاهر برقوق ــ وكما رصد ذلك مجير الدين ــ وحتى عهد الأشرف قايتباي لم نجد سلطاناً إلا وله مآثر في القدس الشريف والأقصى المبارك، ما عدا السلطان المؤيد شيخ المحمودي ٨١٥ ــ٨٢٤هـ/١٤١٢ ــ١٤٢١م ونجله السلطان الصالح محمد حيث مر عليهم مجير الدين عند ترجمتهم مرور الكرام ثم أفاض في ذكر ما قام به السلطان الظاهر جقمق ٨٤٢ــ٨٥٧هـ/ ١٤٣٨ــ١٤٥٣م، والذي بدأ الحديث عنه بقوله "وكان الظاهر على قدر

---

[١] **السبكي:** المصدر السابق، ص١٠٧.

[٢] **إبراهيم المزيني:** الوقف وأثره في تشييد بنية الحضارة الإسلامية، مطبوعات ندوة المكتبات الوقفية، المملكة العربية السعودية، المدينة المنورة ٢٥، ٢٧ محرم ١٤٢٠هـ، ص ٥٩٠.

عظيم من الصيانة والديانة والعفة والشجاعة ومحبة العلماء، وأنعم على الوقفين القدس والخليل" [١].

وكان ناظر الحرمين الشريفين بالقدس الشريف والخليل القاضي عز الدين خليل السخاوي[٢] الذي أقر نوبة ثالثة للمؤذنين وكانوا قبله نوبتين فقط، وقد عمر الأوقاف ونماها، وعندما شب الحريق في الصخرة الشريفة قام السلطان الظاهر بإعادة أعمار ما أتلفه الحريق، فأعاده أحسن مما كان[٣].

وبهذا العرض نكون ألقينا الضوء على دور المسجد الأقصى والمنشآت العلمية في ازدهار الحركة العلمية في القدس خلال القرن التاسع، تلك الحركة التي حظيت بالعديد من العلماء الذين أصبحوا منارات للعلم في سماء القدس والعصر المملوكي، فنلقي الضوء على أهم من برزت أسماؤهم في الحياة العلمية بالقدس خلال تلك السطور.

من أهم العلماء بالقدس في القرن التاسع الهجري .

أشرنا إلى أن مدينة القدس الشريف في عصر سلاطين المماليك قد غدت مهوى أفئدة كثير من العلماء وطلبة العلم، هذا فضلاً عن العلماء المقدسين الذين حفلت بهم مدارس ومساجد وزوايا القدس، وهم الذين

---

[١] **الأنس الجليل:** جـ٢، ص٩٦.

[٢] **عز الدين خليل السخاوي:** خليل بن أحمد بن علي غرس الدين السخاوي صحب الشمس الحلاوي وكيل بيت المال وأحد خواص الظاهر جقمق، فاستخدمه قبل سلطنته وزادت هيبته بعد سلطنة الظاهر، ولي نظر القدس والخليل في عام ٨٤٣هـ عوضا عن طوغان نائب القدس، وذكر السخاوي أنه كان فيه بر وخير ومعروف، حج غير مرة وزار بيت المقدس قبل توليها، وكانت وفاته عام ٨٤٧هـ/ ١٤٤٤م.

الضوء الامع، جـ٣، ص١٧٢.

[٣] **العليمي:** المصدر السابق، جـ٢، ص ٩٧.

أثروا الحركة العلمية بمصنفاتهم، وسوف نعرض لبعض من هؤلاء العلماء والذين لم يتم التركيز عليهم في بعض الدراسات الحديثة، وسوف نبدأ تأسيًا بما بدأ به مجير الدين وهو العمدة في الفترة التي نحن بصدد دراستها في القرن التاسع الهجري مع الاسترشاد ببعض كتب التراجم التي ترجمت لهؤلاء العلماء في القرن التاسع، فبدأ بأهم علماء القرن التاسع من شيوخ الصلاحية والمذهب الشافعي.

منهم شيخ الإسلام شهاب الدين أبو العباس أحمد المقدسي المشهور بابن الهائم، بدأ أولاً نائب للقمني في التدريس بالصلاحية، ثم صار من شيوخ المقادسة واستقل بتدريس الصلاحية[١]، وقد برز في عدة علوم منها علم الفرائض والحساب وله من التصانيف "العجالة في استحقاق الفقهاء أيام البطالة".

ومن شيوخ الصلاحية أيضا من الشافعية نجم الدين محمد بن إبراهيم بن أحمد بن غانم المقدسي الشافعي، استقر في مشيخة الخانقاة الصلاحية ونظرها، وقد لقي السخاوي ببيت المقدس وقد سمع بقراءته على ابن جماعة والقلقشندي، وقد استقر ولده بعده في مشيخة الصلاحية [٢].

ومن علماء المسلمين الأحناف الذين بدلوا مذهبهم لكي ينالوا شرف التدريس بالمدرسة الصلاحية ويغنموا مكاسبها المادية أيضًا الشيخ شمس الدين الهروي وهو من هراة وكان حنفيًا فلما نزل القدس ووجد أنه ليس للأحناف شيء من التدريس في الصلاحية، فسعى فيها وأخذها من ابن الهائم بعدما بدل مذهبه إلى الفقه الشافعي[٣]، وكان قد أخذ الهروي

---

[١] **مجير الدين العليمي:** المصدر السابق، جـ٢، ص ١١٠.

[٢] **الضوء اللامع**، جـ٦، ص ٢٢١

[٣] **مجير الدين:** المصدر السابق، جـ٢، ص ١١١.

عدة مناصب أخرى في عهد جملة من سلاطين المماليك، منها تدريس الصلاحية عام ٨١٥هـ/١٤١٢م، قضاء الديار المصرية في عهد المؤيد شيخ المحمودي، وولاية نظر القدس والخليل والتدريس بالصلاحية مرة أخرى، وفي عهد الأشرف برسباي تولى كتابة السر بمصر، وأخذ القضاء لمدة يسيره من الإمام الحافظ بن حجر، ثم عاد إلى التدريس في القدس عاكفاً على الفتوى والتصنيف، فله العديد من التصانيف منها شرح مسلم وشرح تلخيص الجامع للحنفية[١].

من العلماء المصريين الذين ارتحلوا إلى بيت المقدس وتولوا التدريس في الصلاحية شيخ الإسلام شمس الدين محمد بن عبد الدايم بن موسى العسقلاني الأصل البرماوي المصري، وله شرح على صحيح البخاري توفى في جماد الآخر ٨٣١هـ/١٤٢٨م، وأيضًا قاضي القضاة شيخ الإسلام شهاب الدين أبو العباس أحمد بن الصلاح وهو المعروف بابن المجمرة توفى في ٨٤٠هـ/١٤٣٦م [٢].

ومن العلماء المقدسين الذين تولوا التدريس في الصلاحية وتقلدوا مناصب بالديار المصرية عز الدين بن عبد السلام السعدي المقدسي فقد تقلد نيابة القضاء عن شيخ الإسلام الجلال البلقيني بمصر ثم ولي تدريس الصلاحية في عام ٨٣١هـ/١٤٢٨م [٣].

هذا وقد كان العلماء يتنازعون على ولاية التدريس بالمدرسة الصلاحية والفقه الشافعي، وكان السلاطين المماليك يعقدون المناظرات بين العلماء ليأتوا بالأفضل ويقلدوه التدريس في الصلاحية، ففي عهد

---

[١] **مجير الدين:** المصدر السابق، جـ٢، ص ١١١.

[٢] **مجير الدين:** المصدر السابق، جـ٢، ص ١١٢.

[٣] **مجير الدين:** المصدر السابق، جـ٢، ص ١١٤.

السلطان الظاهر جقمق أراد الشيخ سراج الدين الحمصي انتزاع تدريس الصلاحية من شيخ الإسلام جمال الدين أبو محمد بن نجم الدين بن جماعة، فبذل سراج الدين الحمصي مالاً لبعض مباشري السلطان، فطلب الشيخ جمال الدين إلى مصر وعقد مجلس مناظرة ما بينه وبين الحمصي، فغضب الحمصي، واستمر الشيخ جمال الدين في مشيخة الصلاحية، وأكرمه السلطان الظاهر جقمق وعاد إلى القدس، وكان الشيخ جمال الدين بن جماعة قد ولى عدة مناصب في الدولة المملوكية بالتدريس منها الخطابة بالأقصى وقضاء الشافعية بالقدس، والتدريس بالصلاحية ومشيختها والإفتاء، ومن أهم شيوخه السراج البلقيني، وشمس الدين القرقشندي، وقد تول غير واحد من بني جماعة قضاء القدس ومشيخة الصلاحية والتدريس فيها منهم نجم الدين أبو البقاء محمد بن قاضي القضاة برهان الدين بن جمال الدين بن جماعة، وقد ولى التدريس في الصلاحية عندما تحدث له والده برهان الدين عند السلطان الظاهر خشقدم، وكان أبوه يلي قضاء الشافعية بالقدس الشريف فأقره السلطان الظاهر في مشيخة الصلاحية[1].

هذا ومن جملة أعيان العلماء الذين تواجدوا في بيت المقدس في القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي، وشكلوا قيمة علمية تراثية كبيرة بالنسبة للحركة العلمية آنذاك، تقي الدين القرقشندي والشيخ كمال الدين بن أبي شريف، وبرهان الدين الأنصاري، والشيخ أبو العباس المقدسي، والشيخ ماهر المصري، والشيخ برهان الدين العجلوني، والشيخ

---

[1] **مجير الدين:** المصدر السابق، جـ٢، ص ص ١١٤ ، ١١٥.

هذا وقد أجتمع للشيخ نجم الدين ابن جماعة بعد وفاة والده مناصب القضاء وتدريس الصلاحية وخطابة المسجد الأقصى وذلك في عهد الظاهر خشقدم عام ٨٧٢هـ/١٤٦٨م.

غرس الدين خليل بن عبد الله المقدسي، وقد باشر العديد من هؤلاء التدريس في الصلاحية، وقضاء الشافعية[١].

ومن جملة القضاة الذين تقلدوا القضاء الشافعي في القدس الشريف منذ بداية القرن التاسع، القاضي شهاب الدين أبو العباس أحمد السلاوي، والقاضي تقي الدين أبو بكر بن جمال الدين البصروي تولى القضاء عام ٨٠٢هـ/١٤٠٠م، وفي عهد السلطان الناصر فرج بن برقوق تولى قضاء الشافعية القاضي شمس الدين محمد ابن قرموز الشافعي تولى عام ٨٠٦هـ/ ١٤٠٤م، حتى عام ٨١٢هـ/١٤١٠م[٢].

وكان من الممكن أن يعين أكثر من قاضي في القضاء، فقد قلد قضاء القدس القاضي شرف الدين ابن القرقشندي، وأشرك معه في القضاء القاضي شهاب الدين بن الحكمة في وقت واحد وكل منهما كان متوليًا للقضاء مشاركًا للآخر، فكان القاضي شرف الدين القرقشندي يجلس بالظاهرية، وشهاب الدين بن الحكمة يجلس بدار الحديث[٣].

وتشير النصوص أن قاضي دمشق كان يمكنه أن ينيب من يباشر قضاء القدس الشريف فقد أناب قاضي القضاة علاء الدين أبي الحسن علي السبكي الشافعي قاضي دمشق القاضي زين الدين أبو محمد عبد اللطيف البلبيسي بمقتضى توقيع كتب له بتاريخ عام ٨٠٣هـ/١٤٠١م، وكان زين الدين البلبيسي قد تولى قضاء الخليل وبيت جبريل ونظر الأوقاف والمساجد بجوار قضاء القدس في هذا التكليف[٤].

---

(١) **مجير الدين:** المصدر السابق، جـ٢، ص ١١٥: ١١٧.

(٢) **العليمي:** المصدر السابق، جـ٢، ص ١٢٨.

(٣) **مجير الدين:** المصدر السابق، جـ٢، ص ١٢٩.

(٤) **مجير الدين:** المصدر السابق، جـ٢، ص ١٢٨.

وقد برع من آل بني جماعة العديد من العلماء تولوا القضاء ومن أهمهم نجم الدين بن جماعة والذي أشرنا إليه سابقًا، غير أنه كان للقاضي أن يكون في أكثر من منصب ديني ومباشرًا لأكثر من وظيفة، فزين الدين من جماعة كان معه مشيخة الصلاحية، وقضاء القدس وخطابة المسجد الأقصى والتدريس في الدوادارية وقد ظل في قضاء بيت المقدس حتى عصر السلطان الأشرف قايتباي وتوفى عام ٨٧٢هـ/١٤٦٨م[١].

وكانت ولاية الخطابة بالمسجد الأقصى من الأعمال الجليلة التي كان يتقلدها علماء ذلك العصر، ومن أهم العلماء الذين تقلدوا خطابة بيت المقدس في القرن التاسع الهجري قاضي القضاة شهاب الدين أبو العباس محمد الناصري الباعوني، كان على فصاحة وبلاغة وأطلق عليه مجير الدين لقب إمام البلغاء، وقد مكث في الخطابة بالأقصى المبارك مدة طويلة، وكان يتداولها مع القاضي جمال الدين ابن السائح توفى في عام ٨١٦هـ/١٤١٤م[٢].

ومن آل القرقشندي تولى الخطابة في بيت المقدس أكثر من واحد منهم أبي عبد الله تقي الدين إسماعيل القرقشندي، وأيضًا شهاب الدين أحمد بن القرقشندي، والشيخ علاء الدين أبو الحسن علي بن الشيخ شرف الدين عبد الرحيم القرقشندي، وكانت الخطابة في الأقصى الشريف تتداول بين بني جماعة وبني القرقشندي في عهد السلطان الملك المؤيد شيخ المحمودي[٣]، ومن نافلة القول أن نذكر أن العديد من بني جماعة قد تولوا خطابة القدس منهم الإمام برهان الدين ابن زين الدين بن سعد الدين بن

---

[١] **مجير الدين:** المصدر السابق، جـ٢، ص ١٣٤.

[٢] **الأنس الجليل:** جـ٢، ص ١٢٧.

[٣] **مجير الدين العليمي:** المصدر السابق، جـ٢، ص ص ١٢٧ – ١٤١.

جماعة، وقد أخذ عنه ابنه وعن عمه أبي الفتح نصر الله بن جماعة وأيضًا الخطيب العلامة عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن إبراهيم بن جماعة، تولى عدة وظائف منها الخطابة في الأقصى، وناب في قضاء مصر عن قاضي القضاة عز الدين بن جماعة وأضيف إليه نظر الأوقاف وتولى التدريس في الصلاحية[١].

هذا وكان للخطيب أن يتقلد نصف الخطابة بمرسوم ويتقلد منها وظائف أخرى، فالخطيب محب الدين أبو البقاء أحمد بن قاضي القضاة برهان الدين بن جماعة ولي الخطابة بالمسجد الأقصى مشاركًا لبعض الخطباء فكان له الثمن، ثم استقر فيما كان بيد برهان الدين القرقشندي وهو نصف الخطابة، ثم عزل عن النصف للقرقشندي ثم أيعد إليه الربع منه، وولي نصف مشيخة الخانقاة الصلاحية، ثم عزل منها ثم أعيد إليها[٢]، ولعلنا بتحليل ذلك النص يمكن أن نلاحظ أن الولاية والعزل من المناصب الدينية في القدس إما أن تكون حسب رغبة المباشرين القريبين من السلطان أو برغبة السلطان أو السعي وراء تلك الوظائف، ويمكن كذلك القول بأن كثرة علماء بيت المقدس ورغبة كل منهم تقلد الوظائف الدينية ونيل ريعها قد جعل الأسر الكبيرة تسعى وراء هذه المناصب، ولا نستطيع أن نأتي بتحليل وثيق لهذا التداول والتجزئة في الوظيفة الواحدة، ولا غرو إن قلنا أن طبيعة العصر المملوكي آنذاك وتحكم مباشري الدولة القريبين من السلطان كان له دخل كبير في هذا التخبط الإداري الذي كان يحدث وذلك رغبة في الأموال التي تدفع لقاء تقلد المناصب في الدولة.

---

[١] **مجير الدين العليمي:** المصدر السابق، جـ٢، ص ١٢٨.

[٢] **مجير الدين العليمي:** المصدر السابق، جـ٢، ص ١٤٢.

السخاوي: الضوء اللامع، م١، جـ١، ص ١٦٢.

ونرى أن العديد قد قام بالتدريس في مدارس القدس الشريف بخلاف التدريس في الأقصى المبارك، فمنهم العالم المحدث شمس الدين محمد بن بهاء الدين الشهير بابن المصري، شيخ المدرسة الباسطية وقد كان يلقي دروس الحديث في الباسطية إلى أن توفى عام ٨٤١هـ/١٤٣٨م، وأيضًا الشيخ تقي الدين أبو بكر بن الشيخ جمال الدين الحلبي الطولوني، شيخ المدرسة الطولونية[١]، وقد درس برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم ابن القباقبي الحلبي، علم القراءات والذي فاق فيه وأخذه عن والده الشيخ العالم المحدث شمس الدين محمد بن خليل القباقبي في المدرسة الجوهرية، وتميز وصار من أعيان علماء القدس ومصدر للإفتاء والتدريس[٢].

ومن جملة العلوم التي برع فيها علماء القدس بجوار العلوم الدينية الشرعية كالفقه والحديث والتفسير والقراءات وغيرها علم التاريخ، فقد عني الشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الشافعي المؤرخ المشهور بابن روجة أبي عذيبة، وهو من فقهاء المدرسة الصلاحية، واعتنى بعلم التاريخ، وكتب تاريخين أحدهما مطولاً والآخر مختصرًا[٣]، ومن مشاهير المؤرخين مجير الدين العليمي وهو بمصنفه الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل قد فتح لنا بابًا على مصراعيه نهل منه الباحثون، وسيظل مصدرا هاما في تاريخ القدس وحتى نهايات القرن التاسع الميلادي فهذا المصنف جليل القدر كاسمه.

---

[١] **مجير الدين العليمي:** المصدر السابق، جـ٢، ص ص ١٧١ ، ١٧٢.

[٢] **مجير الدين العليمي:** المصدر السابق، جـ٢، ص ١٧٤.

[٣] **مجير الدين العليمي:** المصدر السابق، جـ٢، ص ١٨٤.

وكان بعض علماء ذلك العصر يجلسون لقراءة القرآن في الأقصى المبارك والقدس الشريف منهم رئيس القراء بالقدس الشيخ شمس الدين محمد بن محمد الأدناري المقرئ الشافعي، حفظ القرآن حفظًا جيدًا وكان يؤديه بحسن صوت وطيب نغمة، وينظم الشعر حسن الخط توفى في ٨٧٤هـ/١٤٧٠م، وأيضًا الشيخ شمس الدين محمد بن محمد بن عقبة المقرئ المؤذن، كان حسن الصوت في القراءة والأذان واستقر من جملة الفقهاء بالصلاحية، وذاع أمره إلى أن قلد قراءة المراسيم الشريفة التي ترد من السلطان بالقاهرة على دكة المسجد الأقصى المبارك توفى في عام ٨٧٥هـ/١٤٧١م، وكذلك الشيخ كريم الدين عبد الكريم بن زين الدين داود من أبي الوفا البدري المقرئ الشافعي، شيخ القراء بالمسجد الأقصى المبارك باشر الأمانة بالمسجد الأقصى أربعين سنة من سنة ٨٥٥هـ/١٤٥١م، وكان يؤدي القراءة على أوضاعها توفي عام ٨٩٥هـ/١٤٩١م[١].

ومن المقرئين كذلك الشيخ شهاب الدين أحمد بن مغيث الأندلسي المالكي مقرئ بيت المقدس وهو على المذهب المالكي، فلم تقتصر رئاسة القراء في المسجد الأقصى على مشايخ وعلماء الشافعية فقط، فقد تولاها غير واحد من المالكية ومنهم أيضًا قاضي القضاة فخر الدين عثمان المقرئ باشر نيابة القدس وانتهى بمنصب قاضي القضاة المالكية، وبرع الشيخ عبد الواحد بن جبارة المغربي المالكي إمام المالكية بالمسجد الأقصى المبارك في القراءة بالسبع وتعلم الفرائض والحساب والنحو[٢]، ومن الحنفية من كان مقرئًا في المسجد الأقصى وهو الشهاب أحمد بن

---

[١] **مجير الدين العليمي:** المصدر السابق، جـ٢، ص ص ١٩٥ : ٢١١.

[٢] **مجير الدين العليمي:** المصدر السابق، جـ٢، ص ص ٢٤٥ – ٢٤٦.

أحمد بن محمود موسى المقدسي، ويعرف بالعجمي في مصر وفي الشام يعرف بالمقدسي وقد تعلم على جملة علماء القدس كابن الهائم، والعلاء ابن اللفت ثم انتقل إلى الشام باستدعاء الأمير محمد بن منجك لإقراء بنيه[١].

ومن مؤذني المسجد الأقصى المبارك المعروفين بحسن الصوت وحلاوته الشيخ شمس الدين محمد بن محمد بن علي بن خطاب، وقد ذكره كل من ابن حجر والسخاوي في كتابيهما.

ومن فقهاء الحنفية الذين لمع نجمهم خلال القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي وأصبحوا من علماء القدس الشريف وأسهموا بدورهم في إذكاء الحركة العلمية بالقدس، فأول من ولي قضاء الحنفية بالقدس قاضي القضاة الإمام خير الدين أبو المواهب خليل بن عيسى العجمي الحنفي ولاه قضاء الحنفية السلطان الظاهر برقوق عام ٧٨٤هـ/١٣٨٣م، وقاضي القضاة موفق الدين العباس بن سعد الدين الطاشهري تولى قضاء العسكر بمصر ثم ولي قضاء الحنفية بالقدس عوضًا عن قاضي القضاة خير الدين الحنفي في عام ٨٠٢هـ/١٤٠٠م[٢].

وكان قضاة القضاة الحنفية يتولون أيضًا التدريس بالمدرسة المعظمية مثل قاضي القضاة الحنفي شهاب الدين أحمد بن أحمد السوداني الحنفي، وقاضي القضاة خير الدين أبو المواهب، ويهتم من درس بالمدرسة النحوية مثل قاضي القضاة تقي الدين أبو بكر بن شرف الدين ابن رصاص الحنفي وقد باشر نيابة القدس الشريف، وتولى قضاء الحنفية استغلالاً، قد درس شيخ الإسلام شمس الدين محمد بن جمال الدين بن

---

[١] **السخاوي:** الضوء اللامع، م١، جـ١، ص ص ١٨٥ ، ١٨٦. م٥، جـ٥، ص ٢١٥.

[٢] **مجير الدين العليمي:** المصدر السابق، جـ٢، ص ٢١٩.

مصلح بن الديري العيسي الحنفي بالمعظمية الحنفية، ثم تولى مشيخة المدرسة المنجكية، فدرس وأفتى وجلس لتفسير القرآن العظيم فتوفى سنة ٨٢٧هـ/١٤٢٤م، وصلى عليه بمسجد الصخرة الشريفة، وقد شارك بن الديري في التدريس بالمدرسة المعظمية قبله التقي الحنفي بالقدس آنذاك قاضي القضاة شمس الدين بن خير الدين أبي المواهب البايرتي، وكان قد أخذ العلم عن أبيه وباشر الحكم في القدس الشريف نيابة عن القاضي موفق الدين قاضي العسكر ثم تولى القضاء متفردًا وباشر التدريس في المعظمية، ومن مشايخ المدرسة التنكزية العلامة زين الدين عبد الرحيم بن النقيب الحنفي، وقد ناب ابنه عنه في مشيخة التنكزية بعد وفاته[١].

وباستدعاء النصوص نرى أسرة الديري الحنفية كان لها في قضاء الحنفية دورًا بارزًا خلال القرن التاسع، فقد تقلد القضاء وتدريس المذهب الحنفي غير واحد، وقد بلغ شيخ الإسلام ملك العلماء الأعلام، سعد الدين بن قاضي القضاة شمس الدين الديري درجة عالية وحظوة كبيرة في دولة المماليك، فدرس وأفتى وولى مشيخة المنجكية والتدريس في المعظمية، ثم غادر إلى مصر وانتهت إليه مشيخة المدرسة المؤيدية، ثم قضاء الحنفية بالديار المصرية واستمر به ما يقرب من خمس وعشرين سنة من عهد العزيز يوسف بن برسباي حتى عهد الملك الظاهر خشقدم، ثم صرف من القضاء باختياره عام ٨٦٦هـ/١٤٦٢م[٢].

أما أهم علماء المالكية في القدس الشريف، فقد كان جلهم من المغاربة الذين جاءوا وجاوروا بالقدس الشريف وكان من أشهر هؤلاء المغاربة من

---

[١] **مجير الدين العليمي:** المصدر السابق، ص ص ٢٢١ : ٢٢٤ ، ٢٣١.

السخاوي: الضوء اللامع، م٢، جـ٤، ص ١٦٩.

[٢] **مجير الدين العليمي:** المصدر السابق، جـ٢، ص ٢٢٧.

المالكية في القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي، الشيخ موسى المغربي المالكي كان رجلٌ صالحًا، وإليه يرجع الفضل في ترتيب صلاة المالكية بالمسجد الأقصى فلم تكن تصلي فيه قبل ذلك صلاة على قواعد المذهب المالكي، وكانت وفاته في حدود عام ٨٠٠هـ/١٣٩٨م، أما قاضي القضاة جمال الدين أبو محمد عبد الله الهلالي الأنصاري المشهور بابن الشحاذة المالكي فهو أول من ولى قضاء المالكية بالقدس الشريف، وكان يدرس بالمدرسة المالكية بالقدس الشريف، وكان تقليده لقضاء المالكية بعد عام ٨٠٠هـ/١٣٩٨م، وقبل ذلك كُلف بالنظر في قضايا المالكية دون أن يكون هناك منصب لقاضي القضاة المالكية حيث تولى من قبل السلطان الناصر فرج بن برقوق عام ٨٠٢هـ/١٤٠٠م[١]، هذا ويمكن القول أن جالية كبيرة من العلماء المغاربة الذين رحلوا لأسباب ليست خافية على الباحثين في ذلك العصر من التاريخ الإسلامي وهو ما حدث للمسلمين في الأندلس وبلاد المغرب فكان لزامًا عليهم الهجرة والارتحال إلى بلاد تتسم بالهدوء النسبي والأمن الذي كانت تنعم به القدس خاصة في ذلك الوقت والدولة المملوكية بوجه عام، فرأينا العديد ممن حملوا مشعل المالكية في بيت المقدس من المغاربة والأندلسيين سواء من قلد منصب قاضي قضاة المالكية أو من جلس التدريس في المدرسة المالكية أو عمل مقرئًا في المسجد الأقصى، هذا ولا يسعنا المقام هنا لعرض كل علماء المالكية الذين تقلدوا منصب القضاء أو كان لهم دور في إذكاء الحركة العلمية في القدس الشريف خلال الفترة مسار البحث وذلك لتعددهم ولم نجد ما يمكن أن يسجل إلا ترجماتهم التي جمعها مجير الدين العليمي وغيره من كتاب

---

[١] **مجير الدين العليمي:** المصدر السابق، جـ٢، ص ٢٤٧.

التراجم، فأثرنا الاكتفاء بالإشارة إلى دورهم الذي أوضحناه في الحركة العلمية بالقدس.

وكان لعلماء الحنابلة دورا في الحركة العلمية بالقدس الشريف في القرن التاسع، بل يمكن القول أن بعد الفتح الصلاحي لبيت المقدس أن أول من جلس بعد انقضاء الخطبة للوعظ، القاضي محيي الدين بن التركي، وكان سرير الوعظ قد نصب تجاه القبلة فجلس عليه الشيخ زين الدين بن نجية وعقد مجلسًا للوعظ وهو حنبلي المذهب وهو سبط الشيخ أبي الفرج الشيرازي الحنبلي الذي نشر مذهب الإمام أحمد بن حنبل بالقدس الشريف، ومن أول الأسماء التي تطالعنا بالنسبة للعلماء الحنابلة في القرن التاسع الهجري القاضي فخر الدين عثمان بن شهاب الدين بن فخر الدين عثمان الحنبلي باشر الحكم بالقدس عام ٨٠٩هـ/١٤٠٦م، وكان نائبًا في الحكم آنذاك عن قاضي القضاة عز الدين البغدادي، وأول من ولي قضاء الحنابلة بالقدس ولم يعرف أن حنبليًا قد تولى قبله قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز البغدادي الحنبلي قاضي الأقاليم، وهو عالم جليل له كثير من المصنفات العلمية في المعاني والبيان والحديث والفقه الحنبلي تولى قضاء القدس عام ٨٠٤هـ/١٤٠٢م[١].

ومن علماء القدس من كانوا يمارسون الأعمال لتكسب أرزاقهم، فمنهم من كان يعمل كاتبًا مثل إبراهيم بن أحمد العقيلي ابن أبي الفداء العينوسي المقدسي، أخذ الفقه والتفسير على القاضي سعد الدين بن الديري، وقرأ الحديث على الشمس بن المصري وزين الدين عبد الكريم القرقشندي، وباشر قراءة الحديث بالمسجد الأقصى، وكان يقنع بحرفة

[١] **مجير الدين العليمي:** المصدر السابق، جـ٢، ص ص ٢٦٠ ، ٢٦١.

تجليد الكتب ليتكسب منها، وله نظمٌ جيد غير أن الإمام السخاوي يرى أنه يميل فيه إلى المجون، ومن العلماء من تكسب بنسخ وكتابة المصاحف ومنهم الشهاب أحمد بن محمود بن موسى المقدسي[١].

وبالمطالعة في الضوء اللامع وجدنا الإمام السخاوي يترجم لقاضي مقدشوة لعالم من علماء بيت المقدس أسماه جمال الدين محمد بن يوسف، وذكر أنه قاض مقدشوه[٢]، بالنظر في معاجم البلدان فلم نجد إلا مدينة مقدشو، وهي الواقعة الآن في الصومال، كما يذكر ياقوت الحموي (مدينة في أول بلاد الزنج جنوب اليمن في بر البربر)، جنس متوسط بين الحبش والزنوج، ولم تذكر المصادر ترجمة لهذا القاضي، وعليه يمكن القول أن علماء بيت المقدس قد انتقلوا إلى إفريقية وذهبوا إلى السواحل الشرقية للبحر الأحمر وتقلدوا منصب القضاء هناك، وكيف لا وهذه المناطق في تلك الفترة كانت تسمى بلاد الطراز الإسلامي [٣]، وكانت الحضارة الإسلامية فيها عامرة والاتصال بينهم وبين المسلمين في مصر والشام وبلاد الحجاز واليمن وثيق ومجاورتهم بمكة كانت واردة فلا نستبعد أن يخرج أحد علماء القدس إلى هذه البلاد ويقلد فيها القضاء.

ومن المشايخ الذين اشتهروا بخدمتهم في المسجد الأقصى وكان ذلك يعتبر قدرا عظيما لهم، شمس الدين محمد بن برهان الدين إبراهيم بن

---

[١] **الضوء اللامع:** م١، جـ١، ص ص ٢٧، ١٨٥ ، ١٨٦.

[٢] **ياقوت الحموي:** معجم البلدان، جـ٥، ص ١٧٢.

الضوء اللامع، م٥، جـ١٠، ص ٧٢.

ابن بطوطة: الرحلة، جـ١، ص ١٦٠.

[٣] **القلقشندي:** صبح الأعشى، جـ٥، ص ٣٢٧.

المقريزي: الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام، ص ص ٢٢٦ ، ٢٢٧.

درباس، ذكره السخاوي فقال:" أجاز له ابن الخباز والقلانسي، وكان أحد خدام الأقصى ويقال له ابن الشحنة"[١]

وبما أن محيط الإدارة المملوكية وسلطان ملوكها كان يشمل مصر والشام والحجاز، وحتى أعالي الفرات فإن هذا جعل حركة تنقل العلماء في القرن التاسع سهلة ميسورة لطلب العلم فنجد علماء مصر يرحلون إلى الشام والحجاز، وعلماء الشام يرحلون بدورهم إلى مصر، وتقلد الدماشقة الوظائف الإدارية في مصر والعكس كذلك والمتفقه في التاريخ المملوكي يدرك هذه الحقيقة إدراكا لا مِراء فيه، ولهذا أردنا إبراز دور عدد من علماء بيت المقدس الذين رحلوا إلى مصر وأخذوا عن شيوخها وتقلدوا فيها مناصب دينية وتدريسية، منهم شرف الدين محمد بن أبي بكر بن عبد العزيز ابن أبي الطاعة المقدسي، فقد نزل القاهرة وتقلد خطابة الصالحية بها وأمانة الجامع الأقمر واشتهر بخادم السنة، وقد صحب عماد الدين بن جماعة عندما نزل القاهرة وبقي بها، وتقلد العديد من المناصب منها نيابته عن المقريزي في خطابة جامع عمرو بن العاص ﷺ وكان حسن الشعر له قصيدة طويلة في مدح السيدة عائشة رضي الله عنها [٢]، وأيضًا كمال الدين أبو الهنا محمد بن مسعود بن صنوان بن ناصر الدين المغربي وهو من أعيان المقادسة والمالكية، أخذ العلم عن العديد من علماء القاهرة مثل ابن الهمام والعز بن عبد السلام البغدادي، والقاياتي والعلاء القلقشندي، ارتحل إلى القاهرة غير مرة، وتولى تدريس الفقه بالمؤيدية، وناب في تدريس الحديث بالكاملية وأفتى وحدث ونظم الشعر، وأيضًا شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عبد الله بن عمرو بن عبد الدايم، قدم مصر وأخذ عن

---

[١] **الضوء اللامع:** جـــ٦، ص٢٢١.

[٢] **السخاوي:** المصدر السابق، م٥، جـــ٩، ص ٥٧.

شيوخها وارتحل إلى مكة المكرمة أكثر من مرة وأخذ العلم عن علم الدين البلقيني وشرف الدين السبكي وغيرهم، ولقبه بعض مصنفي عصره بالشيخ الإمام العلامة الواعظ المفتي المدرس معيد الصلاحية وإمام أهل الوعظ بلا منازع، وذكر السخاوي عنه قوله: "مجالسه في الوعظ نهاية ولو تحرى الصدق لكان نسيج وحده في معناه"، وهذا اللفظ ــ لو كان تحرى الصدق ــ يدل على أن السخاوي كان يرى به بعض الإخلال، وربما أن طبيعة الإمام السخاوي والذي لم يترك أحد من بني عصره إلا ونقده نقدًا ما، هو ما جعله يتلفظ بهذا اللفظ، وقد كان كمال الدين المري يعقد مجالس الوعظ في مجلس الأمير الكبير يشبك الفقيه الدوادار، فكان كثير التردد عليه، وعندما توفى دفن في تربة الأمير يشبك الدوادار[1].

ولا يفوتنا في هذا المقام أن ننوه إلى أن العديد من علماء بيت المقدس كان يخرج للحج ويجاور بمكة المكرمة والمدينة المنورة وبينهم من توفى في هذه البقاع الشريفة، ومنهم من لازم علماء الحجاز للأخذ عنهم، ومن هؤلاء العلماء، خير الدين محمد بن محمد بن موسى بن عمران، حج وجاور أكثر من مرة آخرها عام ٨٨٩هـ/١٤٨٤م، ثم رجع إلى بيت المقدس يدرس ويفتي حتى توفى في عام ٨٩٤هـ/١٤٨٨م، وأيضًا ممن جاور بمكة مع الإمام السخاوي أبو بكر علي بن محمد الحسيني القدسي، فقد جاور ثلاث مرات ارتحل خلالهما إلى المدينة المنورة صحبة الشمس السخاوي في عام ٨٨٥هـ/١٤٨١م، وممن التقاه الشمس السخاوي في مجاوراته من علماء القدس وأهلها كذلك محمد بن إبراهيم بن أحمد المقدسي عرض على السخاوي بعض ما عنده من

[1] **السخاوي:** المصدر السابق، م٥، جـ٩، ص ٥٨، م١، جـ١، ص ص ٣٠٣ ، ٣٠٤.

المصنفات وأخذ عن السخاوي في مجاورتهما [1]، وممن جاور بمكة ومات ببلاد الحجاز الشيخ علاء الدين أبو الحسن علي ابن أبي الوفا البدري، فقد جاور بمكة ثم خرج منها إلى المدينة المنورة فتوفى ببدر عام ٨٤٥هـ/١٤٤٢م.

وكذلك شهاب الدين أحمد بن الرياحي المغربي المالكي كان من العدول بالقدس الشريف ومن مؤذني المسجد الأقصى المبارك سافر إلى الحجاز ٨٧٤هـ/١٤٧٠م، وجاور بمكة، فلما قضى مناسكه توفى بمنى عام ٨٧٥هـ/١٤٧١م، هذا وقد ذكر مجير الدين العديد ممن جاور بمكة وتلقي العلم عن علماء الحجاز آثرنا ذكر أهمهم في هذا المقام.

وللمرأة المقدسية دور في الحركة العلمية للقدس خلال القرن التاسع وقد اشتهر من العالمات المسلمات في دولة سلاطين المماليك العديد ممن تملأ تراجمهن كتب التراجم فقد كان للمرأة آنذاك ضلوع في كثير من علوم العصر التشريعية ولم تخلوا المصادر من ذكر للمرأة المقدسية العالمة، سواء كانت في القدس الشريف أو أن أصولها من القدس الشريف ومقرها في دمشق، أو غيرها من العواصم المملوكية آنذاك، نحاول إلقاء الضوء على من أتى ذكرهن في المصادر الإسلامية المملوكية منهن: أمة اللطيف بنت الإمام شمس الدين محمد بن المحب السعدي المقدسي، سمعت من والدها وأخذت العلم عن العديد من العلماء وأجاز لها أبو الهول والمحب وناصر الدين بن داود وغيرهم، ومن المقدسيات اللائي عشن في دمشق وأخذن العلم من علمائها، ست القضاة بنت أبي بكر العمري المقدسي الحنبلي، أخت ناصر الدين أجاز لها عدد من العلماء وحدثت

[1] **السخاوي**: المصدر السابق، م٥، جـ١٠، ص ٢٢، م٣، جـ٥، ص ٢٦٤، م٣، جـ٣، ص ٢١٨.

وسمع منها الفضلاء ومنهم الشمس السخاوي بصالحية دمشق وأخذ عنها، توفيت عام ٨٦٤هـ/١٤٦٠م، وأيضًا فاطمة بنت شهاب الدين أبي محمود بن هلال بن تميم بن سرور المقدسية، أخذت عن العديد من علماء القدس منهم عبد الرحمن بن جماعة، وأجاز لها ابن الخباز وغيره، وأيضًا فاطمة بنت الحاج بدر الدين سليمان بن أبي بكر المقدسية، زوج برهان الدين إبراهيم المقدسي، أجاز لها ابن الخباز القلانسي وقد ترجم لها ابن حجر والسخاوي [١]، وقد أخذ السخاوي إجازة بدمشق من فاطمة بنت محمد بن أحمد بن سيف الدين ابن أبي عمر المقدسية ثم الصالحية، أما الست مغل بنت الخطيب عز الدين محمد بن حمزة المقدسية ثم القاهرية والتي أخذت عن علماء القاهرة بعد أن قدمت القاهرة وقطنتها حتى ماتت، وكذلك الشيخة مي بنت يوسف بن محمد بن صالح أم إسماعيل بنت الجمال القرشي المقدسي الشافعي، أخذت عن بعض العلماء منهم محمد بن سعد المقدسي توفيت في عام ٨٦٦هـ/١٤٦٢م [٢].

وبعد، فالله سبحانه أسأل أن تكون هذه السطور قد ألقت الضوء على الحراك العلمي في بيت المقدس خلال القرن التاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي، فكان تناولي لبعض العلماء الذي لم يأت ذكرهم في الكتابات الحديثة ولم يترجم لهم إلا في أمهات الكتب من المصادر. وآثرت أن يكون اجتهادي في هذا البحث مخالفًا لمن صال وجال قبلي في هذا المضمار فهم كثير ولا يتسنى في هذا المقام ذكر كل علماء القدس المحدثين الذين كتبوا في موضوعات عدة من تاريخ القدس، ولم لا وهي المدينة التي شغفت بها قلوب المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها لما

---

[١] **السخاوي:** المصدر السابق، م٦، جـ١٢، ص ص ١٠ ، ٥٢ ، ٨٢ ، ٨٦.

[٢] **السخاوي:** المصدر السابق، م٦، جـ١٢، ص ص ٩٤ ، ١١٨ ، ١٢١.

لها من قدسية ولما بها من اغتصاب لأرضها دام ردحا طويلاً من الزمن، وضمائر العالم عنه في غفلة مغيبين أو غائبين إرضاءً لشرذمة تحكم العالم اليوم.

جاء عرض محاور ومباحث هذا البحث لندلل به على مدى أهمية الحركة العلمية في القدس الشريف خلال فترة حكم المماليك وهذه الفترة تكاد تكون الأطول ازدهارًا في تاريخ تلك المدينة ثقافة وفكرًا وعلمًا فقد حملت مع القاهرة ودمشق وبلاد الحجاز مشعل المعرفة والعلم، فلا غرو إن قلنا أنه ولد خلال تلك الحقبة من العلماء من طبقت شهرتهم آفاق عالم العصور الوسطى في كافة مجالات العلوم وفنونها.

ولكي نؤكد على الصورة العلمية لهذا العصر أثرنا أن نزيل البحث بمجموعة من الملاحق والتي ترسم بوضوح الحراك العلمي في القدس خلال القرن التاسع الهجري على عهد دولة المماليك الجراكسة، هذه الملاحق التي تصور المنشآت العلمية في القدس، والتي مازالت شاهد عيان بحق على تلك الفترة إلى يومنا هذا، هذا وبالرغم مما كان معروفا تاريخيا عن الضعف السياسي الذي بدأ يسود الدولة المملوكية الثانية في أواخر القرن التاسع الهجري.

وراعينا في هذه الملاحق توضيح المنشآت التي كان إنشاؤها قبل القرن التاسع، وظلت تعمل بكفاءة خلال القرون التالية على إنشائها، وكذلك أتينا ببعض المنشآت التي أنشأت في القرن التاسع أو أعيد بنائها وترميمها مثل المدرسة الأشرفية، وهذا على سبيل المثال لا الحصر، لنؤكد على قيمة الحراك العلمي في القدس الشريف خلال القرن التاسع الهجري، وقد أمدنا الموقع الالكتروني دليل المسجد الأقصى، التابع

للمركز الفلسطيني للإعلام بهذه الصور الحية لهذه الملاحق الذي رأينا ختم الموضوع بها زيادة في الفائدة.

والله سبحانه وتعالى أسأل حسن التوفيق فإن كان من صواب فمن الله وإن كان من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان، والله سبحانه من وراء القصد، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وسلام على المرسلين، وصلى اللهم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

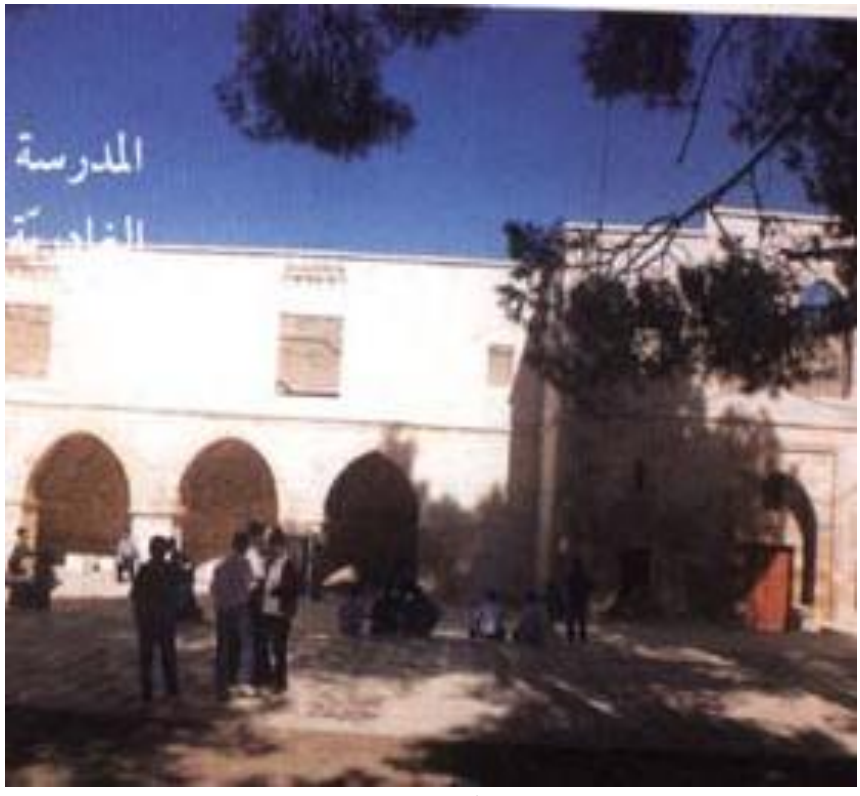

المدرسة الغادرية: وهي داخل المسجد الأقصى، بنتها مصر خاتون (خديجة خاتون) في عهد السلطان الأشرف برسباي في عام ٨٣٦هـ/١٤٣٢م، وقد أوقف زوجها عليها الأوقاف وهو الأمير ناصر الدين بن دلفادر فعرفت بالغادرية نسبة إليه

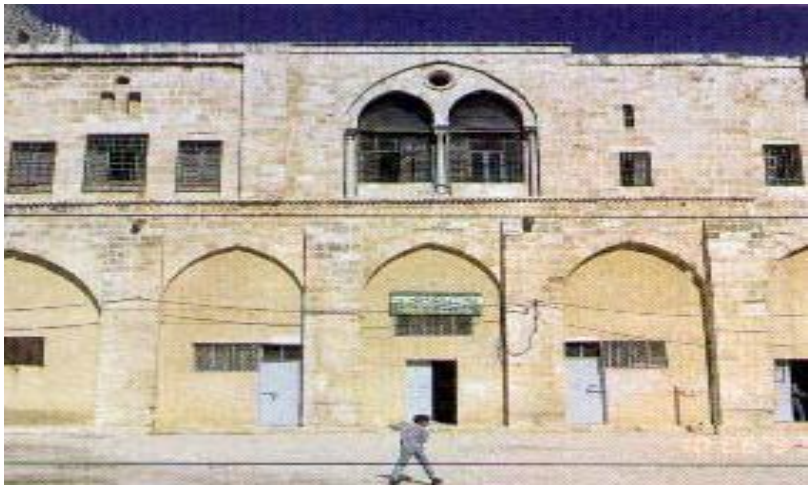

المدرسة الملكية والتي أوقفها القاضي زين الدين عبد الباسط بن خليل الدمشقي سنة ٨٣٥هـ/ ١٤٣١م، وهي عبارة عن قسمين، واحد مأهول والآخر تشغله المدرسة البكرية، والتي تفتح أبوابها خارج المسجد الأقصى، وجزء منها يقع فوق الرواق الشمالي للمدرسة الباسطية، والباسطية تقترب من باب العتم.

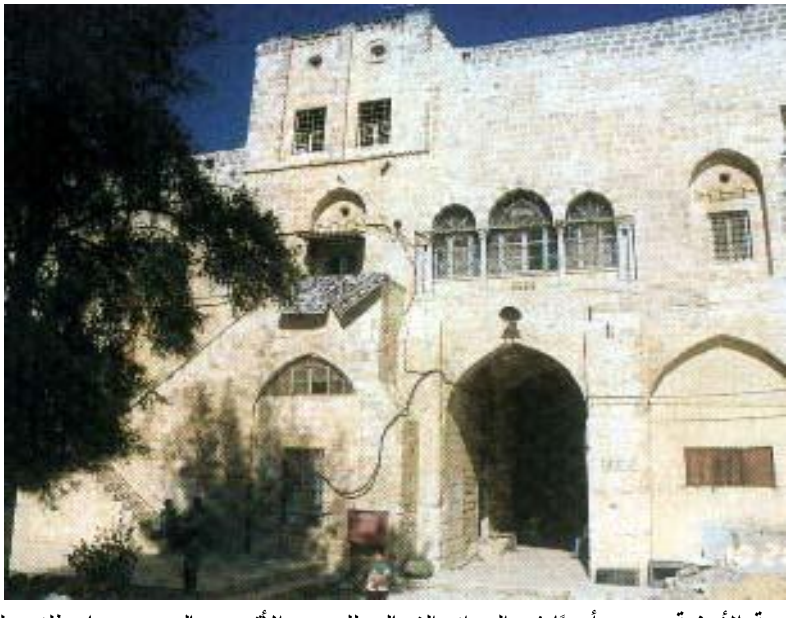

المدرسة الأمينية : وهي أيضًا في الرواق الشمالي للمسجد الأقصى بالغرب، مما يطلق عليه حاليًا باب فيصل، وهو باب شرف الأنبياء، أو باب العتم أو باب الدوادارية لقربه منها، وقد أنشأها الصاحب أمين الدين عبد الله سنة ٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م.

المدرسة الأسعردية: وهي على مقربة من الجاولية شمال الأقصى بنيت حوالي ٧٦٩هـ/ ١٣٥٨م، أوقفها الخواجا مجد الدين عبد الغني بن سيف الدين أبي بكر بن يوسف الأسعردي سنة ٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م،

المدرسة النصيبية: أوقفها الأمير علاء الدين علي بن ناصر الدين محمد نائب قلعة نصيبين، وذلك سنة ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م، وهي تشكل جزءًا من المدرسة الفخرية بالقدس، وتقع خارج

المسجد الأقصى بل على حدوده، هذا وقد أسمى مجير الدين العليمي الحنبلي هذه المدرسة الصبيبية، وهو تحريف في الاسم، تقع غرب المدرسة الأسعردية.

المدرسة العثمانية: تقع هذه المدرسة فوق باب المطهرة (المتوضأ) وحتى المدرسة الأشرفية، وهي طابقان جلهما خارج المسجد الأقصى المبارك، وقفتها أصفهان خاتون بنت محمود العثمانية عام ٨٤٠هـ.

المدرسة الأشرفية: تقع هذه المدرسة بالقرب من الرواق الغربي للأقصى المبارك قريبًا من باب السلسلة في شماله بدأ العمل بإنشائها مكان الأشرفية التي هدمها الملك الأشرف قايتباي بسبب عدم إعجابه بها، وذلك في سنة ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م، واستمر العمل فيها ثلاث سنوات،

والمدرسة قسمان: قسم داخل المسجد الأقصى المبارك، والآخر خارجه ووصفت المدرسة بالجوهرة الثالثة في الحرم الثالث بعد قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى المبارك.

مصطبة علاء الدين البصيري: وهي تقع شرق باب الناظر، أقيمت عام ٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م، أقامها سيف الدين جركس الناصري وللمصطبة محراب يحيط به عامودان رخاميان جميلان الشكل، وتعرف باسم مصطبة البصيري لقربها من سبيل البصيري ومحراب جركس.

مصطبة سبيل قايتباي: وتقع جنوب شرق باب المطهرة وباب القطانيين، ودعيت بهذا الاسم نسبة إلى السبيل القائم في طرفها الشمالي الغربي، أنشأت هذه المصطبة من سنوات ٨٥٧ – ٨٦٥هـ/ ١٤٥٣ – ١٤٦١م، في عهد الملك الأشرف سيف الدين إينال، وعليها محراب حجري [١]

---

[١] كافة الصور أخذت من موقع دليل المسجد الأقصى، المركز الفلسطيني للإعلام: .http://www.palestine-info.info/arabic/alaqsa/aldaleel/aldaleel.htm

قائمة المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم:

ثانيا: المصادر

١) **ابن الأثير:** أبو الحسن عز الدين بن عبد الكريم بن الآثير الجزري ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م.
– الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي بيروت، لبنان ١٩٨٦م.

٢) **ابن بطوطة:** محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م
– الرحلة، المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، المطبعة الأزهرية بمصر، عام ١٩٢٨م

٣) **ابن تغري بردي:** أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي، ت **٨٧٤هـ/١٤٦٥م**
– النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للترجمة والنشر، دار الكتب المصرية، د.ت.
– حوادث الدهور في وقائع الدهور، تحقيق فهيم محمد شلتوت القاهرة ١٩٩٠م.
– المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق محمد محمد أمين القاهرة ١٩٩٠م.

٤) **ابن حجر العسقلاني:** الحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٩م.
– إنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق حسن حبشي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة ١٩٩٨م.
– الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى بيروت، لبنان ١٩٩٧م.

٥) **ابن جماعة:** بدر الدين أبي إسحاق بن محمد بن إبراهيم بن سعد الكناني ت٧٣٣هـ/١٣٣٣م
– تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، تحقيق محمد العدوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٩٨٢م

٦) **ابن الجوزي:** الشيخ الإمام أبي الفرج بن عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن الجوزي التيمي القرشي ت. ٥٩٢هـ/١١٩٦م.
– فضائل القدس، تحقيق د. جبرائيل سليمان جبور، دار الأفاق الجديدة، الطبعة الثانية ١٩٨٠م.

٧) **ابن خلكان:** أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ت ٦٨٦هـ/ ١٢٨٧م
– وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان ١٩٩٨م.

٨) **ابن دقماق:** صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي، ت ٦٥٩هـ/١٢٦١ م
– نزهه الأنام في تاريخ الإسلام. تحقيق سمير طبارة، المكتبة العصرية بيروت ١٩٩٩.
٩) **ابن عبد الظاهر:** محيي الدين أبو الفضل عبد الله بن رشيد الدين عبد الظاهر السعدي ت ٦٩٢هـ/١٢٩٢م.
– تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق مراد كامل، القاهرة د.ت.
١٠) **ابن كثير:** عماد الدين أبو الفداء ابن كثير الدمشقي ت ٧٧٤هـ/١٣٧٣م.
– البداية والنهاية، مطابع هيئة أخبار اليوم، القاهرة ، د.ت.
١١) **ابن ماجه:** أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، ت٢٧٥هـ/ ٨٨٩م.
– سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت ١٩٧٥م.
١٢) **ابن واصل:** جمال الدين محمد بن سالم بن واصل، ت ٦٩٧هـ/ ١٢٨١م.
– مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق د. جمال الدين الشيال وزارة المعارف المصرية، مطبعة جامعة فؤاد الأول القاهرة ١٩٣٥م.
١٣) **أبو الفدا:** الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل صاحب حماة ت٧٣٢هـ/١٣٣١م.
– المختصر في أخبار البشر، مكتبة المثنى، القاهرة، د.ت.
١٤) **الأصفهاني:** محمد بن صفي الدين الملقب بعماد الدين الكاتب الأصفهاني، ت ٥٩٧هـ/١٢٠١م
– الفتح القسي في الفتح القدسي: تحقيق محمد محمود صبح، د.ت.
١٥) **البلاذري:** الإمام أبو الحسن أحمد بن يحي البلاذري، ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م.
– فتوح البلدان، لجنة تحقيق التراث، مكتبة الهلال بيروت، لبنان١٩٨٨م.
١٦) **البخاري:** أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، ت٢٥٦هـ/ ٨٧٠م.
– الجامع الصحيح، المكتب الإسلامي استانبول ، تركيا ١٩٧٩م.
١٧) **الحموي:** شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت، ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م.
– معجم البلدان، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٤م.
١٨) **الحنبلي:** مجير الدين العليمي، أبو اليمن، ت ٩٢٧هـ/ ١٥٢١م.
– الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، تحقيق عدنان يونس نباتة، عمان الأردن ١٩٩٩.
١٩) **الذهبي:** محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م
– العبر في خبر من غبر. دار الكتنب العلمية بيروت لبنان د.ت

٢٠) **السبكي: تاج الدين عبد الوهاب السبكي، ت ٧٧١هـ/١٣٧٠م**
- معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق محمد علي النجار وآخرون، مكتبة الخانجي، القاهرة د.ت
٢١) **السخاوي:** الحافظ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، ت٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م.
- الضوء اللامع في أهل القرن التاسع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ٢٠٠٣م.
٢٢) **السيوطي:** الحافظ جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي، ت ٩١١هـ/١٥٠٥م.
- إتحاف الإخصا بفضائل المسجد الأقصى، القسم الثاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٤م.
٢٣) **الطبري:** أبو جعفر محمد بن جرير، ت٣١٠هـ/٩٣٢ م
- تاريخ الرسل والملوك، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٦م
٢٤) **العمري:** ابن فضل الله شهاب الدين أحمد بن يحي، ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م.
- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، يصدرها فؤاد سزكين.
٢٥) **العيني:** بدر الدين محمود بن أحمد، ت،٨٥٥هـ/١٤٥٢م.
- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق د. محمد محمد أمين، القاهرة، د.ت.
٢٦) **القلقشندي:** أبو العباس أحمد بن علي، ت ٨٢١هـ/١٤١٨م.
- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تراثنا، نسخة مصورة عن المطبعة الأميرية، وزارة الثقافة والإرشاد، د.ت.
٢٧) **المقدسي:** شهاب الدين أبي محمود بن تميم المقدسي، ت ٧٦٥هـ/ ١٣٦٣م.
- مثير الغرام في زيارة القدس والشام، تحقيق أحمد الخطيمي، دار الجيل، بيروت ١٩٩٤م.
٢٨)**مسلم:** أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ت ٢٦١هـ/ ٨٧٥م.
- صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، الرياض١٩٨٠م.
٢٩) **المقريزي:** تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر، ت ٨٤٥هـ/١٤٤٢م.
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (الخطط المقريزية) مكتبة الآداب، القاهرة، د.ت.
- السلوك في معرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ١٩٩٧م
- الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام، مطبعة التأليف بمصر ١٨٩٥م

ثالثا المراجع:

٣٠) **أبو سعيد:** حامد غنيم،

- الجبهة الإسلامية في زمن الحروب الصليبية، دار الثقافة العربية للطباع والنشر، القاهرة ــ القاهرة د.ت.

٣١) **أبو عليَّة:** عبد الفتاح حسن

- القدس دراسة تاريخيه حول المسجد الأقصى والقدس الشريف، دار المريخ، الرياض ٢٠٠٠م

٣٢) **أحمد:** احمد رمضان.

- المجتمع الإسلامي في بلاد الشام، القاهرة ١٩٧٢م.

٣٣) **البلوي:** سلامه محمد.

- مكتبات بيت المقدس من الفتح الأيوبي إلي الاغتصاب الصهيوني.

٣٤) **خليفة:** احمد فتحي.

- دليل المسجد الأقصى، نسخة إلكترونية.

٣٥) **سالم:** عبد الله نجيب.

- المجد المنيف للقدس الشريف، نسخه الكترونية.

٣٦)**السلاوي:** سماح عبد المنعم

- الأوضاع الحضارية في مصر والشام في العصر المملوكي من خلال كتابات الرحالة الأوربيين، ص٢٠٠، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية البنات، جامعة عين شمس ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م

٣٧) **سلام:** محمد زغلول.

- الأدب في العصر المملوكي، القاهرة، د. ت.

٣٨) **شهاب:** علي منصور نصر

- الحياة العلمية في القدس في القرن الثامن الهجري في ضوء كتاب الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، يصدرها مجلس النشر العلمي جامعة الكويت، الحولية ٢٢، الرسالة ١٦٩.

٣٩) **الشهابي:** قتيبة

– دمشق تاريخ وصور ، مؤسسه النوري للطباعة والنشر ، دمشق ١٩٩٤

٤٠) **الصوايفي:** طالب عبد الفتاح

– الأوضاع الحضارية في القدس من صلح الرملة حتى خروج الصليبين من فلسطين (١١٩٢ــ١٢٩١م/٥٨٨ــ٦٩١هـ)، ص٢٩١، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية ٢٠٠٩م.

٤١) **العارف:** عارف باشا.

– تاريخ القدس، دار المعارف، القاهرة كورنيش النيل، د. ت.

– المفصل في التاريخ، مطبعة المعارف القدس ١٩٩٩م.

٤٢) **عاشور:** سعيد عبد الفتاح.

– العصر المماليكي، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٧٦م.

– مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، دار النهضة العربية، بيروت د.ت.

– أضواء جديدة علي مدينه القدس في عصر سلاطين المماليك . المؤتمر الدولي الثالث لبلاد الشام

٤٣) **عثامنه:** خليل.

– الأوضاع الإدارية في فلسطين أيام المماليك.

٤٤) **عبد الوهاب:** حسن.

– تاريخ المساجد الأثرية، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٤٥م.

٤٥) **علي:** علي السيد.

– القدس في العصر المملوكي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٨٦م.

٤٦) **علي:** محمد كرد علي.

– خطط الشام ــ جـــ٦ ــ دمشق ــ ١٩٣٨م.

٤٧) **العسلي:** كامل

– معاهد العلم في بيت المقدس، د.ت.

٤٨) **غوانمة:** يوسف درويش

– تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي، دار الحياة. الزرقاء. عمان، الأردن ١٩٨٢م

٤٩) **الكاتب:** عبد الحميد.

- القدس ، دار الشروق القاهرة ١٩٩٤م.

٥٠) **ماهر:** سعاد.

- العمارة الإسلامية، جدة ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

٥١) **المزيني:** إبراهيم.

- الوقف **وأثرة** في تشييد بنيه الحضارات الإسلامية . مطبوعات ندوة المكتبات الوطنية في المملكة العربية السعودية، المدينة المنورة محرم ١٤٢٠هـ

٥٢) **النابلسي:** صبيح عبد اللطيف.

- القضاء والمراكز العلمية في بيت المقدس خلال القرون الستة الأولى من الهجرة، رسالة دكتوراه، بغداد.

رابعا: المواقع الإلكترونية على الشبكة العنكبوتية.

٥٣) **دياب:** حامد الشافعي

- مكتبة المسجد الأقصى المبارك ماضيها وحاضرها، http://www.alquds-online.org/index.php?s=19&ss=19&id=138

٥٤)**السجدي:** وائل عبده

- المدارس الأثرية في بيت المقدس، http://www.jerusalemites.org/history_of_palestine/jerusalem_shools.htm

٥٥) **عليان:** ربحي مصطفى

- المكتبات في مدينة القدس، http://www.alukah.net/Culture/0/466/

٥٦) **كلاب:** محمد خالد.

- المكتبات والخزائن الخاصة ودورها الثقافي والحضاري، http://www.dahsha.com/viewarticle.php?id=33033

٥٧)**مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية:**

- مكتبات العلم في المسجد الأقصى خزائن المسجد الأقصى http://www.aqsaonline.info/index.php

٥٨)**المركز الفلسطيني للإعلام:**

- دليل المسجد الأقصى http://www.palestine-info.info/arabic/alaqsa/aldaleel/abwab.htm

- نافذ أبو حسنة: المكتبات، المركز الفلسطيني للإعلام.
http://www.palestine-info.info/arabic/index.shtml